المكتبة المقروءة

بيت أسس علي التقوى

ولا تقل لهما أف

الحمد لله القائل: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً:(٢٣)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (الاسراء:٢٣/٢٤).

والصلاة والسلام على رسول الله الذي بعثه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة، وأدي الأمانة، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، وصلي الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد.. عباد الله:

إن من أعظم المعاصي التي عصي الله بها في الأرض سبحانه وتعالي، قطيعة الرحم وعقوق الوالدين، ولذلك توعد الله بالعذاب الأليم العاق والقاطع.

وهي جريمة شنيعة تقشعر لها الأبدان ويندي لها الجبين، أنكرها حتى الجاهليون واليهود والنصارى في شرائعهم.

ولذلك يقشعر جلد المؤمن يوم يري الابن كلما كبرت وشب وقوي تغمط حق والديه يوم أذهبا العمر والشباب وزهرة الحياة في تربية.. فقد سهرا لينام، وجاعا ليشبع، وتعبا ليرتاح، ولما كبرا وضعفا ودنيا من القبر، واصبحا قاب قوسين أو أدني من الموت، أنكر حقهما وجعلهما في مكان من الذلة لا يعلمه إلا الله.

ولذلك قرن الله حقه بحقهما وجعل من لوازم العبودية بر الوالدين وصلة الرحم، يقو جل ذكره:)وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)(الاسراء: الآية٢٣) فقد قضاه وأمره وأوجبه سبحانه وتعالي بأن لا يعبد إلا هو.

ومع عبادته سبحانه وتعالي يقوم بر الوالدين وصلة الأب والأم وصلة الرحم.

وأنظر لهذه الصورة العجيبة للأب وهو محدب الظهر، قليل الصبر، قد شاب رأسه ولحيته.

وصورة الأم وهي شمطاء الرأس ، فقد دنت من القبر، وأصبحت تتلهف علي شبابها وصباها الذي أنفقته في تربية هذا الابن ، فلما ترعرع وقوي ظهره واشتد ساعده كان نكالاً وغضباً ونكداً علي والديه.

(إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفّ)(الاسراء: الآية٢٣)، حتى كلمة أف على صغرها عند الناس لا تقال للوالدين.

فقل لي بالله أيهما أعظم، حق كلمة أف أم الذين جحدوا حق الوالدين وعقوهما وجعلوا جزاءهما السب والشتم والغلظة والنكال والقطيعة؟

حتى أنه وجد في المجتمع من يعيش في الفلل والشقق البهية، ويركب المراكب الواطية ويأكل الموائد الشهية، ووالده في فقر وفي حاجة ملحة وفي ضنك لا يعلمه إلا الله.

أي قلوب هذه القلوب؟

وأي أرواح هذه الأرواح؟

وقد بكت العرب في جاهليتها وإسلامها العقوق، وتوجعت واشتكت إلى بارئها منه.

في الأدب والسير ، أن أعرابياً وفد على الخليفة وهو يبكي.

قال الخليفة: ما لك؟

قال : اصبت بأعظم من مصيبة المال.

قال: ما قصدك؟

قال: ربيت ولدي، سهرت ونام،واشبعته وجعت، وتعبت وارتاح، فلما كبر وأصابني الدهر واحدودب ظهري من الأيام والليالي تغمط حقي، ثم بكى وقال:

وربيته حتى تركته أخا القوم

واستتغنى عن الطر شاربه

تغمط حقي ظالماً ولوى يدي

لوى الله يده الذي هو غالبه

قيل : فلويت يد الابن وأصبحت وراء ظهره.

وفي السير وبعض التفاسير كالكشاف بأسانيد فيها نظر، أن رجلاً وفد على الرسول صلي الله عليه وسلم يشتكي قال: ((ما لك ؟)).

قال: مظلوم يا رسول الله من ابني.

قال ((أي ظلم؟)).

قال: ربيته، فلما كبر وضعف بصري، وضعف عظمي، ودنا أجلي، تغمط حقي فقابلني بالغلظة والجفاء.

قال صلي الله عليه وسلم : ((هل قلت فيه شيئاً؟)).

قال: نعم، قلت فيه:

غذوتك مولـــــــوداً وعــــلتك يافـــعاً

تعل بما أجري علــــــــيك وتنهـــــل

إذ ليلة ضافتك بالسقم لم أبـــــــــت

لســـقمك إلا شاكياً أتمــــــــلــــــمل

يقول ك ما هذا جزائي، وما هذا رد الجميل، وما هذا حفظ المعروف، حتى الليلة التي تسقم فيها أبقي معك.. أنت السقيم ولكن أخذت السقم عنك، وأنت المريض فأخذت المرض منك.

وحق للقلوب اللينة، وللعيون الرقراقة بالدموع، أن تدمع لهذه المآسي التي وجدت في بلاد الإسلام، والتي شكت منها قلوب الوالدين.

فهل أظلم وهل أكبر وأشنع من أري تري ابنك وق أصبح في مصاف الرجال، وقد أعطيته شبابك وزهرة ولذة روحك وشذا نفسك، ثم رد عليك الجميل بالقبيح، فإذا صوته في البيت صائل.. لا ينفذ لك أمراً.. ولا يخفض لك جناحاً؟

إنها يا عباد الله مأساة ما بعدها مأساة.

يقول صلي الله عليه وسلم وهو يسأل عن الأعمال الصالحة أيها أزكى وأيها أعظم؟

قال : ((الصلاة لوقتها))

قيل : ثم أي ؟

قال : ((بر الوالدين)).

قيل: ثم أي؟

قال: ((الجهاد في سبيل الله)).

ويسافر صلي الله عليه وسلم بالقلوب ويحدثها عن رجل من بني إسرائيل كان باراً بوالديه.

ويا عجباً أن يوجد في اليهود والنصارى من تلين قلوبهم لوالديهم وهم أحفاد القردة والخنازير، وهم أعداء الله ، وهم الذين لعنهم الله من فوق سبه سماوات.

ويوجد في بلاد المسلمين من قسا قلبه، ومن طمس علي فكره، فلا يلين قلبه أبداً.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه

وسلم يقول: ((أنطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار.

فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالي بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق (٢) قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأي بي طلب الشجر يوماً فلم أرح (٣) عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت ــ والقدح علي يدي ــ

أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون (١) عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه ..)) الحديث.

عباد الله، إن العقوق مأساة وجدت في المجتمعات وفي البيوت، وأصبحت من أعظم المشكلات على الأباء والأمهات مشكلة الابن.

وفي بعض الآثار يود الرجل في آخر الزمان أن يربي جرو كلب ولا يربي ابنا (٣).

نعم .. وجد هذا، ورأينا ورأي غيرنا الآباء الذين أصبحوا في الشيخوخة وهم يتباكون ويتضرعون ويجأرون من هذه الذرية الظالمة.

فهل من عودة يا شباب الإسلام إلى الله؟

وهل من بر وجوده مع الآباء والأمهات؟

يأتي رجل للرسول صلي الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله! من أحق الناس بحسن صحبتي؟

قال : ((أمك))

قال: ثم من؟

قال : ((أمك)).

قال : ثم من؟

قال: ((أمك)).

قال : ثم من؟

قال: ((أبوك)) (١).

فالأم لها ثلاثة أرباع الحق، فهي التي حملت وأرضعت وألحقت وأدفأت ، فجزي الله آباءنا وأمهاتنا خير الجزاء، وأسقاهم الله من الحوض المورود ، فلا يظمؤون بعد تلك الشربة أبداً.

نعم.. إن بر الوالدين قضية كبري، ومن فوائد بر الوالدين:

ــ أن يهديك سواء السبيل.

ــ وأن يصلح الله ذريتك.

ــ وأن يمدك بعون منه .

ــ وأن يسددك ي أقوالك.

ومن آثار العقوق: اللعنة من الله)فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد:٢٢،٢٣).

قال بعض أهل العلم: أصمهم فلا يسمعون ، وأعمى أبصارهم فلا يتدبرون ولا يتفكرون ولا يعقلون.

قال تعالي:)وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) (الرعد:٢٥) .

وصح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يدخل الجنة قاطع))، وهو من قطع رحمه ووالديه، قطع الله حبله من السماء، وقطع ذمته وعهده.

ولذلك يقول صلي الله عليه وسلم : ((لم خلق الله الرحم تعلقت بالعرش وقالت: يارب هذا مقام العائذ بك من القطيعة.

قال: ألا ترضين أن اصل من وصلك، واقطع من قطعك؟

قالت : بلي يا رب.

قال: فذلك لك، فمن وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته)).

فأنزلها الله في الأرض.

والغريب أن الجاهليين وهم يعبدون الوثن يفتخرون بصلة الرحم.

يقول المقنع الكندي الجاهلي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي

وبيت بني عمي لمختلف جـــــدا

إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هتكوا مجدي بنيت لهم مجدا

ولست بأحمل حقداً عليهم

وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

عباد الله.. لقد كان أرق الناس وأحلم الناس الرسول صلي الله عليه وسلم ولذلك ذكر الله خلقه ومجد أنفاسه في القرآن فقال:)وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤)
وقال : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(آل عمران: الآية١٥٩).

وقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً ضرب به المثل على مدي التاريخ.

فما سمعت الدنيا بأوصل منه صلي الله عليه وسلم .

قام أقاربه وأبناء عمه فأخرجوه من مكة وطاردوه وشتموه وسبوه وآذوه ، وحاربوه في المعارك، ونازلو في الميدان، وقاموا عليه بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية.

فلما انتصر ماذا فعل؟

لقد دخل مكة منتصراً ، ووقف له الأعلام مكبرة، وطنت لذكر نصره الجبال، فوقف على حلق باب الكعبة صلي الله عليه وسلم وهو يقول للقرابة والعمومة : ((ما ترون أني فاعل بكم))؟.

فقالوا ــ وهم يتباكون ــ : أخ كريم وابن أخ كريم.

فيقول : ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)).

وكأنه يقول: عفا الله عنكم وسامحكم.

ويأتي ابن عمه أبو سفيان بن الحارث فيسمع بالانتصار وهو قد آذى الرسول صلي الله عليه وسلم وسبه، فيأخذ أطفاله ويخرج من مكة، فيلقاه على بن أبي طالب فيقول: إلى أين تذهب؟

قال : أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعاً وعرياً، والله إن ظفر بي محمد ليقطعني إرباً إرباً.

فيقول علي وهو يعرف الرسول صلي الله عليه وسلم : أخطأت يا أبا سفيان ، إن رسول الله صلي الله عليه وسلم أوصل الناس وابر الناس، فعد إليه وسلم عليه بالنبوة وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف:) لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)(يوسف: الآية٩٢)

فهل من مقتد بأفعاله وأخلاقه؟ فإنه هو الأسوة الحقة، وإن اتباعه نجاة من العار والدمار.

تأتيه أخته صلي الله عليه وسلم وقد ابتعدت عنه ما يقارب أربعين سنة وهي لا تعرفه وهو لا يعرفها، فقد مرت سنوات، وأيام وأيام، وأعوام أعوام، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاعة وهو تحت سدرة، والناس بسيوفهم بين يديه وهو يوزع الغنائم، فتستأذن ، فيقول لها الصحابة: من أنت؟

فتقول : أنا أخت الرسول صلي الله عليه وسلم من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث، أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية.

فيخبرون الرسول صلي الله عليه وسلم فتترقرق الدموع في عينيه، ويقوم لها ليلقاها في الطريق ويعانقها عناق الأخ لأخته بعد طول المدة وبعد الوحشة والغربة، ويجلسها مكانه ويظللها من الشمس (١).

تصوروا رسول البشرية ، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، يظلل هذه العجوز من الشمس لرضعة واحدة؟

فأين الذين قطعوا عماتهم وخالاتهم وبناتهم وأخواتهم، بل حتى الميراث الذي أحله الله لهن حرموه عليهن.

وقد سمعنا من العجائز الطاعنات في السن من تقف الواحدة تبكي وتقول : ظلمني..أنصفني الله منه.

فيسأل الرسول صلي الله عليه وسلم أخته عن أحوالهم ثم يقول لها: ((اختاري الحياة هنا أو تريدين أهلك؟)).

فتقول : أريد أهلي (٢).

فيعطيها المال ليعلم الناس صلة الأرحام.

عباد الله .. أوصيكم ونفسي بصلة الأرحام وببر الوالدين، ففيهما الخير الكثير والأجر العميم من الله سبحانه، وفيهما من تقريب القلوب لبعضها وإزالة الشحناء والغل فيما بينهما.

فبروا آباءكم وأمهاتكم ، وصلوا أرحامكم لتدخلوا الجنة مولاكم.

فقد قال صلي الله عليه وسلم كما سبق : ((لا يدخل الجنة قاطع))، أي قاطع رحم.

والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

شكوى الوالدين

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً على الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد..

بينما الحجاج مشغولون بالطواف في الحرم، والشمس حارة والزحام كثيف ، والناس واقفون عند الكعبة المشرفة يسألون المولي جل جلاله..

كان رجل من أهل اليمن يحمل لأمه على كتفيه، وقد تصبب عرقه واضطراب نفسه، وهو يطوف بها لأنها مقعدة، ويري أن من الواجب عليه أن يكافئها ، لأنه قد كان يوماً ت الأيام حملاً في بطنها ثم طفلاً في حضنها.

سهرت لينام، وجاعت ليشبع، وظمئت ليروي، فظن أنه كافأها حقاً

وكان ابن عمر الصحابي الجليل واقفاً عند المقام.

فقال الرجل: السلام عليك يا ابن عمر، أنا الابن وهذه والدتي، أتري أني كافأتها؟

قال ابن عمر : والذي نفسي بيده ولا بزفرة من زفراتها.

فكل هذا التعب والإعياء والجهد لا يساوي زفرة واحدة زفرتها في ساعة

الولادة.

هذه صورة واحدة من صور المعاناة التي يقدمها الوالد وتقدمها الوالدة لهذا الإنسان.

جلس الرسول صلي الله عليه وسلم بين أصحابه، وإذا بشيخ كبير يدلف عليهم يتكئ علي عصاه، وقد احدودب ظهره ورق عظم واشتعل رأسه شيباً.

وقف علي رأس المعلم الجليل يشكو إليه من مظلمة من أبنه الذي عقه وتولي عنه في كبره.

فقال : يا رسول الله ابني ظلمني، ربيته صغيراً ، فجعت ليشبع، وظمئ ليروي ، وتعبت ليرتاح.

فلما اشتد ساعده تغمط حقي وأغلظ لي ولوي يدي.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((وهل قلت فيه شيئاً))؟

قال: نعم يا رسول الله.

قال: ((ماذا قلت))؟

قال: قلت:

غدوتك مولـــــوداً وعلتك يافعاً	تعمل بما أجري عليك وتنهل
إذا لليلة ضاقتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا شاكيـــــاً أتململ
كأني أنا الملدوغ دونك بالذي	لدغت به دوني فعيناي تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها بدا ما فيك كنت أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة	كأنك أنت المنعم المفضــــــل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

فدمعت عيناه صلي الله عليه وسلم وقال: ((علي بالابن)).

فذهب الصحابة فقادوا ابنه فإذا هو في جسم البغل!

فأوقفه أمامه وأخذ بتلاليب ثوبه وقال: ((أنت ومالك لأبيك)) ، والمعني : أنت كمثل الرقيق لهذا الوالد يبيعك ويشتريك، فما أنت إلا من متاعه ودنياه.

وهذه الصورة تتكرر كثيراً في عالم اليوم، مرات من أناس شبوا علي الطوق وقويت سواعدهم واشتدت كواهلم وكبرت جماجمهم، فعقوا ربهم أولاً فما عرفوا بيوته، وأعرضوا عن كتابه وع سنة رسوله صلي الله عليه وسلم .

ثم عقوا الوالدين في وقت الضعف

فلم نعد نرى إلا الشيوخ والعجائز وهم يبكون من ذلكم العقوق الأليم.

وكم رأينا من طاعن في السن يدب على الأرض دبيباً يشكو ابنه.

ونحن نرفع شكواه إلي الواحد الأحد الذي ينصف سبحانه، والذي لا تسقط عنده مظلمة.

يروي لنا المعصوم صلي الله عليه وسلم قصة ثلاثة خرجوا إلي الصحراء من بني إسرائيل، فأظلم عليهم الليل البهيم، فصعدوا جبلاً ودخلوا غاراً ، فانطبقت عليهم الصخرة فسدت أبواب الغار، فلا اتصال ولا عشيرة ولا قبيلة ولا أهل.

وهذه ساعة الاضطرار،)أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء)(النمل: الآية٦٢).

ولا يجيب المضطر إلا هو سبحانه، ولا يكشف المكروب إلا هو سبحانه، ولا يفرج عن المغموم إلا هو سبحانه.

ولقد ذكرتك والظلام مخيم والأسد تزأر في ربا الصحراء

في وحشة لو غبت عني ساعة لوجدتني شلوا من الأشلاء

ضل الطريق فقمت أدعو في الدجي متضرعاً في حندس الظلماء

فأتوا يدفعون الصخرة فما اندفعت، وليس عندهم لا طعام ولا كساء ولا شراب.

بل هو الموت المحقق.

فاتصلت حبالهم بحبال الله، والتجأوا إليه سبحانه.

فقال قائل منهم: والله لا ينجيكم أحد إلا الله، فادعوه بصالح أعمالكم.

فقام الأول فتذكر أعماله فما وجد أحسن ولا أطيب من بره بوالديه.

فخاطب الله علام الغيوب الذي يعلم السر واخفي وقال: اللهم إنك تعلم أنه كان لي والدان شيخان كبيران وكنت لا أقدم عليهما أهلاً ولا ولداً، وقد غبت يوماً فأتيت وإذا هما نائمان فحلبت غبوقهما ــ أي لبنهما في الليل ــ فقمت بالإناء علي رأسهما حتى طلع الصباح والصبية يتضاغون (أي يصيحون) تحت قدمي أحداً عليهما.

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك فاكشف عنا ما نحن فيه.

فانزاحت الصخرة قليلاً عن باب الغار غير أنهم لا يستطيعون الخروج.

فقام الآخر .. إلى آخر الحديث المشهور.

ويقول المعصوم صلي الله عليه وسلم : ((لا يدخل الجنة قاطع)).

ويقول صلي الله عليه وسلم : ((لما خلق الله الرحم تعلقت بالعرش وقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة))، أي: أشكو إليك القطيعة في الدنيا فأنصفني من القاطع.

((قال الله لها : ألا ترضين أن اصل من وصلك، وأن أقطع من قطعك؟ قالت: بلي، قال: فذلك لك)).

فالقاطع يقطعه الله: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد٢٣،٢٢) .

وقد قرن سبحانه حقه بحق الوالدين في القرآن كثيراً، فقال:)وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً) (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) (الاسراء:٢٣/٢٤).

فكلمة (أف) علي صغر حروفها لا يجوز أن تقال للوالدين.

فكيف بمن تنعم في القصور والفلل وأهان والديه؟

وكيف بمن قدم زوجته على أمه؟

وكيف بمن أغلظ في الخطاب وعصى في الجواب؟

إنها صور تتكرر في مجتمعنا ونراها ونسمعها كثيراً.

فليت أصحاب العقوق يتعظون بتلكم الآيات والأحاديث التي تحذرهم من هذا المسلك الأليم، الذي لا يستحقه الأبوان اللذان تعبا وشقيا وربيا.

وليتهم يعتبرون بقصص الصالحين وببرهم بوالديهم.

كان ابن سيرين يقدم لوالدته الطعام ولا يأكل من الإناء الذي تأكل منه خشية أن تسبق يده إلى لقمة تشتهيها.

وكان الإمام أحمد على جلالته يخدم والدته في البيت حيث لم يكن لها إلا هو بعد الله معيناً.

فكان يصنع طعامها ويكنس بيتها ويقوم بالأعمال عنها.

وللعقوق صور كثيرة، منها عقوق الوالدين كما سب وهو اشهره.

ولكن هناك عقوق من نوع آخر، وهو عقوق الأمة لبارئها كما نري، حيث انصرفت عن دينها وعن طاعة ربها وأصبحت تقلد الكافر البعيد في كل أحواله وسلوكياته، متوهمة أن التطور والحضارة يكونان في ذلك التقليد وتلك التبعية.

وما علمت أن الحضارة والرقي هي في التميز بشخصيتها وتحقيق كتاب ربها وسنة نبيها صلي الله عليه وسلم على الواقع.

اسأل الله أن يسدد هذه الأمة ويعيدها إلى مجدها من جديد لتكون خير أمة أخرجت للناس.

والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

استعاذ الرحم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد ..

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: ((إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه تبارك وتعالي قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة.

قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك؟

قالت: بلي يا ربي.

قال: فهو لك)).

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ((فاقرأوا إن شئتم : : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد٢٣،٢٢) .

في هذا الحديث مسائل أولها: قوله صلي الله عليه وسلم : ((لما خلق الله الخلق)).

قال أهل الحديث: المقصود من الخلق خلق السماوات والأرض.

وقال ابن حجر: قد يكون لما خلق الله الخلق يعني لما كتب تقدير الخلق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض.

أقول: هذا خطأ وبعيد، وهو يخالف ظاهر الحديث، فإن الرسول صلي الله عليه وسلم أخبرنا جهارا أنه تعالي قد خلق الخلق أي انتهي من ذلك سبحانه وتعالي.

والمقادير كما تعلمون، وهو معتقد أهل السنة والجماعة، كتبها الله قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما في الحديث: ((إن الله كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة))، فهو في كتاب عنده على العرش سبحانه وتعالي.

وفي الكتاب نفسه: ((إن رحمتي وسعت كل شيء))، وفي الكتاب: ((إن رحمتي سبقت غضبي)).

فنسأل الله أن يرحمنا وإياكم.

وقد خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام كما هو مبين في القرآن.

((حتى إذا فرغ من خلقه))، يعني انتهي سبحانه وتعالي من خلق الخلق وتكوين السماوات والأرض.

((قالت الرحم)) : أي الرحم الموصولة.

وبعضهم يقول: رحم المرأة لأنه مكان الحمل.

والذي يظهر: أنها العلاقة التي تربط الناس بعضهم ببعض.

قال تعالي:) وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)(النساء: الآية١).

فقالت : ((هذا مقام العائذ بك من القطيعة)). فتكلمت الرحم.

فهل تكلمت بلسان المقال أم الحال؟

المعتزلة يقولون في مثل هذا: تكلمت بلسان الحال، كقولة سبحانه وتعالي عن السماوات والأرض:) قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)(فصلت: الآية١١)لا بصوت وإنما بلسان حالها.

وأهل السنة يقولون : لا.. بل نحمله على الظاهر وأنها تكلمت حقيقة، لأن الله أخبرنا أنها تكلمت.

فلماذا نصرف ذلك عن ظاهره؟

وفي رواية مسلم: أنها أخذت بقائمة العرش.

وفي رواية أخري صحيحة: أنها تعلقت بعرش الله كالشاكية تعوذ إلى الله من الذي يقطعها.

لأن المستجير يتعلق بمن به ويلتجيء إليه، ولذلك قالت: ((هذا مقام العائذ بك))، يعني: قمت يا ربي مقاماً أعوذ بك من القاطع وأستعيذ بك من القطيعة ، فأنقذني وأنجدني.

ولا يكون الالتجاء والعوذ إلا إلى الله سبحانه وتعالي، فقوله تعالي:) فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)(النحل: الآية٩٨).

وهو يعيذ سبحانه وتعالي ويحير عليه.

ولذلك لما سحر عليه الصلاة والسلام أنزل الله عز وجل قوله:(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) (الفلق:١) (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس) (الناس:١).

فالاستعاذة تكون بالله، وإنما أشرك من أشرك من العرب لأنهم كانوا يستعيذون بغير الله.

فكانوا مثلاً يستعيذون بسيد الوادي من الجن.

قال تعالي: (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً) (الجـــن:٦) .

فالعوذ إنما يكون بالله، ولا يملك أن يعيذ إلا الله، لأنه صاحب المنعة.

ولذلك لأم سبحانه وتعالي من أتخذ إلها غيره فقال:)وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً) (الفرقان:٣) .

وفي كتب الأدب أن أحد الشعراء من الأندلس دخل على سلطان من سلاطين الدنيا فقال:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فسكت السلطان المجرم، وأقره عليه الناس وما أنكروا.

فأخبره الله من هو الواحد القهار، ومن هو الذي بيده مقاليد كل شيء.

فابتلي الله هذا الشاعر بمرض عضال أعيي به الأطباء، حتى أنه كان ينبح كما ينبح الكلب علي فراشه، ويتقلب ظهراً لبطن ليلاً ونهاراً.

لأن الله أراد أن يذيقه معني هذا البيت.

وفي الأخير انتبه الشاعر من سكاره، وأخذ يقول وهو في مرض الموت وقد أصبح جلداً على عظمك:

أبعين مفتقر إليك نظرت لي فأهنتني وقذفتني من حالقي

لست الملوم أنا الملوم لأنني علقت آمالي بغير الخالق

قالوا للإمام احمد: ما هو التوكل؟

قال: التوكل كما فعل إبراهيم لما أصبح قريباً من النار قال:) حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(آل عمران: الآية١٧٣).

ويذكرون في ترجمة إبراهيم عليه السلام أنه لما وضع في المنجنيق فأصبح بدل القذيفة...

فتولي عنه الأصدقاء والأحباء والقرابة، فأصبح التوحيد في باطنه وفي قلبه مثل الجبال لأنه سيد الموحدين مع رسولنا صلي الله عليه وسلم .

فقال جبريل له وهو في الهواء: يا إبراهيم ألك إلى حاجة؟

وجبريل عليه السلام بإذن الله باستطاعته أم ينقذه.

فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم.

فما أصبح قريباً من النار قال:) حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(آل عمران: الآية١٧٣) النبي صلي الله عليه وسلم فلما أصابه سوء.

وفي صحيح البخاري موقوفاً على ابن عباس قال رضي الله عنهما:) حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(آل عمران: الآية١٧٣). قالها إبراهيم لما ألقي في النار،) حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وقالها محمد صلي الله عليه وسلم لما قيل له:) إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(آل عمران: الآية١٧٣). الجواب:)فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران:١٧٤) .

وتقدم كثيراً قصة خالد بن الوليد لما أتي إلى معركة اليرموك وكان جيشه يقارب ثلاثين ألفاً وجيش الروم مائتان وثمانون ألفاً.

فلما التقي الجيشان واصطف الجمعان وتبارز الفريقان قال أحد المسلمين لخالد: ما أكثر الروم وما أقلنا!

قال خالد: لا والله، بل ما أكثرنا وما أقل الروم، لأن الله معنا سبحانه وتعالي.

قال مسلم آخر: أظن يا خالد أنا نفر اليوم إلى جبل أجا وسلمى.

قال: لا والله لا نفر إلى جبل أجا وسلمى، ولكن نفر إلى الله :) حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)(آل عمران: الآية١٧٣).

وبدأت المعركة فانتصر خالد، لأن الله حسيبه وهو كافيه سبحانه وتعالي.

قال : ((قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة))، أي: أعوذ بك يا رب ممن يقطعني في الحياة لأن قاطع الرحم استحق اللعنة من الله، ففي الكتاب الحكيم (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّه)(محمد: ٢٣/٢٢). فهو ملعون.

يقول جعفر الصادق لابنه: يا بني لا ترافق ثلاثة:

١- لا ترافق الفاجر فيعديك بفجوره.
٢- ولا ترافق قاطع الرحم، فإنه ملعون في السماء ملعون في الأرض.
٣- ولا ترافق البخيل، فإنه يبيعك وأجيرك من القاطع.

قال الله: ((نعم))، يعني أعيذك وأجيرك من القاطع.

ثم قال سبحانه : ((إما ترضين أن اصل من وصلك وأقطع من قطعك))؟

قالت: ((بلي)).

والجواب ببلي لأن العرض كان بأداة الاستفهام.

ولذلك لما قال سبحانه وتعالي:) أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)(لأعراف: الآية١٧٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو قالوا: نعم، لكفروا ، لأنه لا يجاب عند الاستفهام بنعم، لأن معناها يكون حينئذٍ التقرير بالمذكور ، فكأنهم يقولون والعياذ بالله: نعم لست بربنا!

ثم قال عليه الصلاة والسلام: ((أقرأوا إن شئتم: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّه)(محمد: ٢٣/٢٢).

يقول سبحانه: إذا فعلتم ما فعلتم وكفرتم بالله فما بقي عليكم إلا أن تقطعوا أرحامكم ، هذا

مجمل معني الآية.

وهذا كما تقول للإنسان إذا أذنب واخطأ: ما بقي عليك إلا أن تترك الصلاة، أو إذا شئت اترك الصلاة.

وأنت لا تقره على ذلك لكنك تتهدده وتنذره.

فالله يقول: إذا توليتم عن الإيمان فلن يبق إلا أن تقطعوا أرحامكم ، فهو أهون ذنباً من ترك الإيمان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته)).

قوله: (شجنه) ضبطت (شجنة) و (شجنة).

والشجنة: القطعة من الشيء.

والشجون: المنحيات في الوديان.

والشجون كذلك: العروق في الجسم.

والشجون: هي الأحاديث التي يأخذ بعضها ببعض. تقول العرب: الحديث ذو شجون، أي الحديث يأخذ بعضه ببعض ، تقول العرب: الحديث ذو شجون، أي الحديث يأخذ بعضه ببعض، والحديث مشوق لا ينتهي الإنسان من حديث إلا ويبدأ في حديث آخر، كما يقول ابن الرومي:

وحديثهما السحـــــر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

ويقولون : الشجن الأسى واللوعة ، أنا ذو شجن أي أنا ذو أسى ولوعة.

وأشجاني كذا: أي ذكرني وأطربني.

تذكرت والذكرى تهيج على الفتي ومن عادة المحزون أن يتذكرا

والشجنة هنا القطيعة من الشيء ، يعني من الرحمن.

قيل : فيض من فيوضاته سبحانه وتعالي.

وقيل: خلق من خلقه، فتكون إضافتها من باب التشريف أي أن الله خلقها سبحانه وتعالي.

أو اشتقت لها اسماً من اسمه تبارك وتعالي(الرحمن) ، وهذا الاشتياق للتشريف.

وبعض أهل العلم من أهل السنة يقولون: إن اسم الرسول محمد صلي الله عليه وسلم مشتق من اسم الله، لأن الله هو المحمود سبحانه وتعالي وهو صاحب الحمد، حتى يقول حسان:

وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

قال الله: (٠ من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته،))، وهذا كالحديث السابق.

وليعلم أن صلة الرحم المرغب فيها كثيراً هي أن تصل أرحامك الذين يقطعونك وتحرص على ذلك، فهذا أعلى درجات صلة الرحم، لأنه صلي الله عليه وسلم كان يقول: ((ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)).

أي أن الذي يستحق اسمم الوصل هو من يصل من يقطعه من أرحامه.

ولذلك مر علينا كثيراً قصة الرجل يصل أرحامه ويودهم وهم لا يصلونه ولا يودونه ، فاشتكي إلى الرسول صلي الله عليه وسلم فقال له صلي الله عليه وسلم : ((لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)) والمل هو: الرماد الحار.

وهذا كما قال الشاعر:

وإن الـــــذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا هتكوا عرضى وفرت لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقـــــد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى	وإن قل مالي لم أكلفهم رفـــــــــــدا

أسال الله لي ولكم أن يجعلنا ممن يصل أرحامه ليصله الله في الدنيا والآخرة.

والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أحوال البيوت

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض.. وجعل الظلمات والنور

ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.. والصلاة والسلام على المعلم النحرير، والهادي والبشير النذير، محمد بن عبد الله.

أما بعد..

إخواتي في الله.. لقد حمل آباؤكم هذه العقيدة في الوغي ففتحوا بلاد الفرس والرومان، وحفظوا حدود الله في أيامه وتباعدوا عن طاعة الشيطان.

فانظر لمن تنكب طريقهم؟ من الذين هجروا المساجد والصلاة، وتركوا سنن الرسول ومنهج القرآن، ونادوا بتحرير المرأة وخروجها من بيتها لتخالط الرجال.. وتزاحمهم في كل مكان.

يقول الشاعر فيهم:

أمـــا التـــــــلاوة فالغنــــــــاء لديهـــم

لعـــب البلــــوت وجلــــــسة الـــــــدخان

أكلوا الـــــربا وتسابقـــــــــــوا كسبه

وتصـــــــارعوا لمــــخـــــدر فـــــتـــــان

فاستأهلوا غضب الإله فدكـــــــهـــــم

بالجـــــوع والتكسيــــر والفيضــــــــــان

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (النحل:١١٢)

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (هود:١٠٢)

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً)

(٨(فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً) (الطلاق:٨/٩) .

في العدد الأخير من جريدة (المسلمون) نبأ مخيف ومرعب.. خبر مزعج ..قصة طويلة لأربع نسوة عرب في بلد عربي يدعي الإسلام.

أولئك النسوة انتقلن إلى بلد عربي آخر فقبضن كمروجات مخدرات.. وهؤلاء النسوة تصل أعمار بعضهن الستين! معهن أطفال وأزواج وبنات وأولاد!

ولكن من نسي الله قطع الله حبله.

فحكم عليهن بالإعدام.. ونحن لا نعترض علي الإعدام .. فهذا أقل جزاء لمثل هذا النموذج من الناس.

(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة:٣٣)

إنما نتساءل : ما أسباب هذه الجريمة التي أغضبت الله؟ وما أسباب هذه السقطة التي ما بعدها سقطة؟ ما هو التحليل الاستقرائي والاستنتاج العلمي لهذه المعصية التي يقع فيها المجتمع المسلم صباح مساء؟ وتشارك الفتيات مع الشباب في ترويج المخدرات والزنا والعهر والجلسات الحمراء، وإغضاب الله الواحد الأحد.

السبب هو أنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُم)(الحشر: الآية١٩).

بل وحد في بعض المناطق أن بعض النساء بلغت الأربعين وهي لا تصلي! ولا تعرف أحكام الحيض ! ولا أحكام الغسل من الجنابة!

إنه نسيان الله.. إنه الجهل بالدين.

واستبدلوا هذا الإيمان بهذه المغريات الحادثة، كالفيديو الذي يهدم في الساعة الواحدة ما يهدمه جيش نابليون وهتلر في السنة.

وبالمجلة الخليعة التي أصبحت تباع مع الخضروات والخبز.. وتهدم بالصور العارية ما تهدمه الجيوش العالمية في ستة أشهر.

ثم يوجد معهن زوج أو أب يأكل ويشرب لكنه لا يحمل الإيمان.. لا يحمل الغيرة ولا الغضب لانتهاك حدود الله، فلا يزعجه أن تخرج امرأته سافرة.. متبرجة.. متعطرة..متزينة.. فتذهب الساعات الطويلة في الأسواق . وتخرج الفتاة وتعا–بالهاتف من شاءت، وتراسل من شاءت.. إلا من رحم الله.

والأب لم يدخل الإيمان البيت، ولم يعلم أهل بيته الصلاة، ولم يدخل لهم الكتيب الإسلامي ولا الشريط الإسلامي.

ولم يصطحب أهله إلى درس إسلامي أو محاضرة إسلامية، فتبقي المرأة جاهلة بالإسلام، تسمع ألف أغنية.. وتري ألف مسلسل.. وتشاهد ألف مسرحية.. وتطالع ألف مجلة.

ولكنها ما سمعت تلاوة للقرآن، أو حديثاً نبوياً، أو محاضرة ، أو درساً.

وقد زاد من هذا التحلل والفساد وجود طبقة من المجتمع الإسلامي تسعي بعلم أو دون علم إلى هدم أخلاقه.. ونشر الرذيلة فيه.. فمثلاً:

إحسان عبد القدوس له أكثر من ثلاثين سنة نشرة يكتب فيها، فيستهزئ بالرسول صلي الله عليه وسلم ، ويستهزئ بالرسالة، ويستهزئ بالدين.. وله كتاب عنوانه (أنا حرة) ينادي فيه المرأة أن تعصي زوجها وأن تصاحب من شاءت من الناس وان تصادق كل أحد.. ثم يقول : الزنا عرف تقليدي!!

ونجيب محفوظ الذي أخذ جائزة نوبل علي الدجل.. لأنه روج للإلحاد .. ولأنه أداة للصهيونية العالمية.. له قصة بعنوان (أولاد حارتنا) يستحي الشيطان أن يقرأها! من الخبث والدعارة والانحطاط الذي فيها)أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ)(الجاثـــية: الآية٢٣)ز

إن اعظم واجباتنا في الحياة أن تكون أمة تشهد على الناس)وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)(البقرة: الآية١٤٣)، نكون شهداء على الناس إذا قمنا بواجب الله بأنفسنا .. وبدين الله في مجتمعنا .. والشهادة على الناس بأن نشهد على الأمم هل هم مستقيمون أم منحرفون؟ هل هم عاصين أم ضالون؟ هل هم راشدون أم غاوون.

لكن كيف نشهد على الناس إذا كنا منحرفين متهاونين عاصين متمردين على شرع الله؟

يقول تعالي: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(آل عمران: الآية١١٠)، نكون خير أمة إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر.. وهي مسالة ماتت إلا في قلب من رحم الله، وأصبحت عند كثير من الناس، بل الرأي العام، منوطة بفئة من الناس لا يجوز أن يأمر إلا هم .. ولا ينهي إلا هم.. ولا يدعو إلا هم، وهذا خطا.

قال تعالي:)لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (المائدة:٧٨/٧٩) .

فواجب علينا أن نهتم بأمر النساء بالمعروف ونهيهن عن المنكر، لأن الرسول صلي الله عليه وسلم أخبر أن اشد فتنة تقع فيها الأمة هي فتنة النساء.

وأن نستهل موضوع الزواج، وأن نرحب بالصالحين من شباب المسلمين، وأن نمنع تكدس الفتيات في البيوت !

فتاة من الفتيات بلغت الأربعين ، ومنع أبوها أن تتزوج، وغيرها كثير.. فواجب أن ننصح هؤلاء الآباء بعدم المغالاة في مهور بناتهم..

وأن يحرصوا على إعفافهن .. في زمن كثرت فيه الفتن.

فالزواج من سنن المرسلين (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً)(الرعد: الآية٣٨).

فالواجب على المسلمين أن يسهلوا أمور الزواج، فأشرف بنات العالمين فاطمة الزهراء بنت محمد صلي الله عليه وسلم ، أم الحسن والحسين، مهرها درع لا تساوي درهمين.

وبنت سعيد بن المسيب يتقدم لها الوليد بن عبد الملك ابن خليفة المسلمين فيرفضه سعيد.

قالوا : لم؟

قال: أأنقلها من بيت القرآن إلى بيت الغناء والقيان؟

ثم زوجها بدرهمين لفقير من طلابه، لأن الرسول صلي الله عليه وسلم يقول: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)).

والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أصول التربية النبوية

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة.

اللهم صل على محمد ما تفوح بمسك وفاح، وما ترنم حمام وناح، وما شدا بلبل وصاح.

المصلحون يد جمعت هي أنت بل أنت اليد البيضاء

فإذا سخوت بلغت بالجود المدى وفعلت ما لم تفعل الأنواء

وإذا رحمت فأنت في الدنيا أم وأب هذان في الدنيا هما الرحماء

فصلي الله وسلم على بطل الدعوة الرائدة، وأستاذها وموجهها ومعلمها، فما اجتمعنا إلا على رسالته، ولا تآخينا إلا على منهجه، ولا تصافينا إلا على مبادئه الخالدة.

كيف ربي رسول الله صلي الله عليه وسلم أصحابه؟

وكيف أخرجهم عظماء؟

يوم أتي زعماء التراب فمحقوا شعوبهم ليربوا منهم عبيداً وأرقاء.. أتي محمد صلي الله عليه وسلم ليخرج من الأمة العربية البائسة أمة ماجدة خالدة)هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:٢)

يا قوميون أين مجدكم قبل الإسلام؟

وأين تاريخكم قبل الرسالة الخالدة؟

فأنتم لا شيء قبل محمد صلي الله عليه وسلم.

إن البرية يوم مبعث أحمد نظر الإله لها فبدل حالها

بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها

لبس المرقع وهو قائد أمة جبت الكنوز فكسرت سعى لها

فأمدها مدداً وأعلي شأنها وأمات شانئها واصلح بالها

فهذه الدعوة المباركة تحتاج إلى موجه ومرشد وأستاذ وبطل.

وموجهها وأستاذها وبطلها محمد صلي الله عليه وسلم ، فهو لا يزال يقود الركب بسنته حتى يسلم ويدخلها من باب الجنة صلي الله عليه وسلم .

ظن المستعمر أنه سوف يسحق شبابنا، وسوف يهاجم شبابنا بالمرأة والكأس.

وأبى الله إلا أن يتم نورهن ورد كيد المستعمر في نحره، وأقبلت وجوه الشباب تسجد لله ويقول لسان حالها:

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

أصول هذه الرسالة خمسة:

أولها: تربية صلي الله عليه وسلم لصحابه على الحب لله ورسوله حباً يقطع من أجله الجسم وتمزق من أجله شغاف الروح.

الأصل الثاني: تربيتهم على الشجاعة والإقدام ، حيث يقتحمون الأسوار ويسلمون أرواحهم للسيوف تمزقها لتدخل جنة عرضها السماوات والأرض.

الأصل الثالث: الصراحة والوضوح.

الأصل الرابع: الرفق الذي سلكه محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم قدم دعوته للناس في أطباق الحب على رياحين المودة، وعلى باقة من الإخلاص والانسجام.

أما الأصل الخامس: فهو تربيتهم على الطموح وعلو الهمة، وأن لا يرضي أحدهم بالدنيا وذهب الدنيا من أجل أن يبيع ولو طرقة عين من مبادئه.

فأما الأصل الأول: فإنه أعظم الأصول، فقد أتي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة فجاء اليهود يتعاطسون عنده ويقولون : نحن نحب الله، لكن ما نتبعك ، فكذب الله حبهم وأبطل دعواهم وقال لهم:)قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)(آل عمران: الآية٣١) .

)لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (الأحزاب:٢١).

أتي صلي الله عليه وسلم فلقن حب الله عز وجل حبه صلي الله عليه وسلم .

يقول له عمر كما في البخاري : يا رسول الله، والله إنك أحب إلى من مالي ومن أهلي ومن ولدي إلا من نفسي.

قال: ((لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك)).

قال: فوالله يا رسول الله إنك أحب إلى حتى من نفسي.

قال : ((الآن يا عمر)).

وعند الترمذي بسند حسنه بعض أهل العلم أن عمر لما أراد العمرة قال له صلي الله عليه وسلم : ((لا تنسنا من دعائك يا أخي)).

قائد عظيم وزعيم عملاق يقول لأحد تلاميذه (أخي).

قال عمر معلقاً: كلمة ما أحب أن لي بها الدنيا وما عليها.

وذهب عمر إلى العمرة ولكن كأنه قد ترك قلبه مع الرسول صلي الله عليه وسلم وأشواقه وأحاسيسه.

بنتم وبنا فما ابتليت جوارحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآفينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

والحب أثبت أصالته في المعركة.

فمن الذي دفع أنس بن النضر أن يهب بسيفه إلى بسيفه إلى أحد فيقول له سعد بن معاذ : عد يا أنس.

قال: إليك عني يا سعد، والله الذي لا إله إلا هو إني لأجد ريح الجنة دون أحد.

ويموت ويضرب بثمانين ضبرية.

أليس هذا بحب صادق؟

ومن الذي دفع حنظلة الغسيل أن يترك زوجته في أول ليلة ويهب وعليه جنابه، فيقتل نفسه في سبيل الله ويقدم نفسه علامة على الحب، حتى يقول صلي الله عليه وسلم وهو يلتفت إلى السماء ويشيح بطرفه: ((والذي نفسي بيده إني لأرى الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض)).

أليس بحب هذا؟ بلي والله إنه من أعظم الحب وأرقي الحب.

ويأتي عبد الله الأنصاري والد جابر فيتكفن ويتطيب بعد أن يكسر غمد سيفه على ركبته، ويلتفت ويقول: اللهم خذ من دمي هذا اليوم حتى ترضي.

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها

والجود بالنفس أغلى غاية الجود

ويذهب للمعركة فيقتل، فيبكي ابنه جابر فيقول صلي الله عليه وسلم : ((لا تبكه، أو ما تبكيه، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع)). ويقول النبي صلي الله عليه وسلم في شأنه أيضاً : ((ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجابه، وأحيا أباك فكلمة كفاحاً، فقال : تمن على أعطك ، قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون))

فجعل الله روحه وأرواح إخوانه الذين قتلوا معه كما جاء في الحديث((في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل..)).

ومن الذي باع الحياة رخيصة   ورأي رضاك أعز شيء فاشترى

هم أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم الذين رباهم على الحب.

وعبد الله بن جحش أول من سمي بالأمير يأتي يوم أحد فيقول: يا رب ، اللهم إنك تعلم أني أحبك وهذا مهر البيعة، اللهم إن كنت تعلم ذلك فلاق بيني وبين عدو لك قوي باسه فيقتلني فيك.

لم يقل أقتله، بل قال يقتلني ، فيبقر بطني ويجدع انفي ويفقأ عيني ويقطع أذني، فإذا

قلت لي: لم افعل بك هذا؟ قلت: فيك يا رب.

ولذلك فأحباب الله يسارعون إلى محاب الله.

وفي حديث عند الطبراني من قوله صلي الله عليه وسلم : ((يضحك ربك إلى ثلاثة))، ولله ضحك يليق بجلالة لا نكيفه ولا نمثله ولا نشبهه ولا نعطله.. أحد الثلاثة رجل حمله الحب فسافر في قافلة وتعب من السفر، فلما نزل أصحابه ناموا على الأرض وأما فما نام، قام إلى الماء البارد وتوضأ ، فاستقبل القبلة وأخذ يبكي ويدعو ويناجي الواحد الأحد.

فيقول الله لملائكته: يا ملائكتي انظروا لعبدي هذا: ترك فراشه الوثير ولحافة الدافئ وقام إلى الماء البارد يتوضأ ويدعو، أشهدكم أني غفرت له وأدخلته الجنة.

أليس هذا بحب؟ بل أعلي من كل حب.

وفي مذكرات لبعض الدعاة أن شاباً مسلماً من بلاد الجزيرة العربية سافر إلى بلاد الإنجليز، إلى لندن، وهناك أعلن توحيده وأعلن صموده وأعلن إيمانه، لأنه خرج من بلاد الحرمين ومن جزيرة التحدي.

سكن في بيت إنجليزي مع عجوز، فكان يقوم مع صلاة الفجر في البرد القارس المثلج، فيتوضأ والعجوز تلاحظه.

فتقول له: أمجنون أنت؟

قال: لا

قالت: وكيف تقوم في هذه الساعة لتتوضأ؟

قال : ديني يأمرني بذلك.

قالت: ألا تؤخر؟

قال: لو أخرت ما قبل الله مني.

فهزت رأسها وقالت: هذه إرادة تكسر الحديد، هذه إرادة تكسر الحديد.

أما الأصل الثاني: فتربيتهم على الشجاعة والإقدام.

فالحياة ليست عبودية للمادة أو خوفاً من المستقبل وتأمينه، فالمستقبل بيد الله سبحان وتعالي فهو الذي يؤمنه.

يقولون للشاب في الثلاثين: أمن مستقبلك، فإذا مستقبله زوجة وسيارة وفلة.

يصبح فيقول: أصبحنا وأصبحت الفلة لله، وأمسينا وأمست السيارة لله.

يفكر في الفلة وهو ساجد، وفي الزوجة وهو راكع، وفي السيارة وهو على جبنه.

أي طموح وأي شجاعة هذه؟

ويموت من أجل الفلة، ويحب من أجل الفلة، ويسميها مستقبلاً.

وهذا ليس مستقبلاً، لأن المستقبل أن تكون مؤمناً بالله وأن تهيئ لك مكاناً في جنة عرضها السماوات والأرض.

لقد ربي المربي العظيم تلاميذه على أن يبيعوا أنفسهم من الله سبحان وتعالي.

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْأِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:١١١).

قال ابن القيم ما معناه: أنزل الله حكماً من السماء، أتي به جبريل وأملاه محمد صلي الله عليه وسلم ، ونص المعاهدة: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى)(التوبة: الآية١١١).

فتقدم أصحاب الرسول صلي الله عليه وسلم بالثمن وهو الأرواح، والسلعة وهي الجنة فتبايعوا.

فقال ابن رواحة: يا رسول الله ماذا تريد منا؟

قال: ((أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأطفالكم وأموالكم)).

قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟

قال : ((لكم الجنة)).

قال: ربح البيع، والله لا نقبل ولا نستقيل.

ثم قم من المجلس.

قال ابن القيم : والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإذا تفرقا فقد وجب البيع.

يرسل صلي الله عليه وسلم حبيب بن زيد رسولاً على مسيلمة الكذاب.

فيقول له مسيلمة: من أنت؟

قال : أتتشهد أن محمداً رسول الله؟

قال : نعم اشهد.

قال: أتشهد أني رسول الله؟

قال: لا أسمع شيئاً.

فأعاد عليه الكلام ،فأعاد الجواب.

فأمر جنوده أن يقطعوه إرباً إرباً ، وقطعه قطعة، فأخذوا يقطعون منه قطعة فتتدحرج بالدم إلى الأرض.

فيعيد الكلام عليه قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

قال: نعم أشهد.

قال: أتشهد أني رسول الله؟

قال: لا أسمع شيئاً.

حتى قتله ونحره شهيداً وارتفعت روحه إلى الله، (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) (٢٧)

(ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) (٢٨) (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) (٢٩) (وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر:٢٧-٣٠).

وجعفر بن أبي طالب تقطع يده اليمني في مؤتة فيأخذ الراية باليسرى، فتقطع يسراه، فيحتضن الراية، فتقع السيوف في صدره وهو يقول وهو يبتسم.

يا حـــــبذا الجـــنة واقترابـــــــــها

طيبـــــــة وبارد شرابـــــــــــها

والـــــــروم روم قد دنا عذابــــــــها

كافرة بعيدة أنســــــــابـــــــــها

على إن لاقيتهــــا ضـــــــرابـــــــها

وخالد بن الوليد بعد قتل القواد الثلاثة في مؤتة أخذ السيف فكسره على رؤوس الأعداء، ثم أخذ الثاني فكسره، حتى كسره تسعة أسياف، فما صبرت في يده إلا صحيفة يمانية.

قال ابن كثير: قتل بذلك بيده اليوم خمسة آلاف.

تسعون معركة مرت محجلة ... من بعد عشر بنان الفتح يحصيها

وخالد في سبيل الله مشعلها ... وخالد في سبيل الله مجريهــــــا

وما أتت بقعة إلا سمعت بها ... الله أكبر تدوي في نواحيـــــــــها

ما نازل الفرس إلا خاب نازلهم ... ولا رمي الروم إلا طاش راميــــها

وعمير بن الحمام يسمع الرسول صلي الله عليه وسلم يوم بدر وهو يقول لأصحابه: ((لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)) فدنا المشركون، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ((قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض))، فقال عمير بن الحمام: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض، قال: ((نعم))، قال: بخ بخ. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ((أما يحملك على قولك بخ بخ)) قال : لا ، والله يا رسول الله إلا

رجاءه أن أكون من أهلها، قال: ((فإنك من أهلها)) فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال : لئنا أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة ، فرمي بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل.

ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا

ولكن على أقدامنا تقطر الدمـــــا

وربي صلي الله عليه وسلم أصحابه على الصراحة والوضوح ، وهو الأصل الثالث من أصول التربية، فليس هناك ألغاز ولا مجاملات، ولا نفاق ولا تقية، بل هو وضوح وصفاء.

فأبناء الصحراء يعيشون بصفاء الصحراء.

يأتي رجل كما في الصحيحين فيقول: يا رسول الله هلكت.

قال: وقعت على أهلي وأنا صائم.

قال: ((أعتق رقبة)).

قال: ما أملك إلا رقبتي.. وضوح وصراحة.

قال: وهل أوقعتني فيما أوقعتني إلا الصيام.. يعني ما استطعت أكمل يوماً ووقعت، فكيف أصوم شهرين؟

قال: ((أطعم ستين مسكيناً)).

قال: على أفقر مني!

قال: ((أجلس)).

فجلس ، فأتي النبي بعذق، فقال صلي الله عليه وسلم : ((خذ هذا تصدق به على الفقراء في المدينة)) أو كما قال.

قال: أعلى أفقر منى يا رسول الله؟ والله ما بين لابتيها رجل أفقر منى.

قال: ((خذه وأطعمه أهلك)).

أليس في هذا وضوح وصراحة بلا مجاملة؟

لقد ربي صلي الله عليه وسلم أصحابه على أن يتكلموا بما في قلوبهم، وجعل من خالف قوله فعله من أهل النفاق، (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِم)(الفتح: الآية١١).

أما المؤمن فقلبه ولسانه سيان.

يأتيه رجل فيقول صلي الله عليه وسلم : ((اسلم)).

قال : اسلم يا رسول الله ولكن أشترط شرطاً (وضوح وصراحة).

قال: ((ما هو؟)).

قال : أن تبيح لي الزنا فإني لا أستطيع أن اصبر.

فقام الصحابة يريدون أن يضربوه ويؤدبوه، فقال صلي الله عليه وسلم : ((دعوه)).

ثم وضع يده الحبيبة الشريفة على صدر هذا الرجل وقال: ((أترضاه لأمك؟))

قال: لا

قال: ((أترضاه لأختك؟)).

قال: لا

قال: ((رضاه لابنتك؟))

قال: لا

فقال: ((كيف ترضى للناس ما لا ترضي لنفسك؟)).

قال: أشهد أنك لرسول الله، أتوب إلى الله حتى من الزنا.

تربية خالدة وعلم رائع جميل.

الأصل الرابع: اللين والرفق، فقد أتي صلي الله عليه وسلم بمدرسة اللين والرفق، وما كان اللين والرفق في شئ إلا زانه وما نزع من شئ إلا شأنه.

أرسل اله عز وجل موسى وهارون إلى فرعون فقال لهما وهما في الطريق:)فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طـــه:٤٤) .

اللين عجيب.

فخذ لك صاحبـــــــاً خليلاً	فإني مبتغي صاحباً مثلي
عزيز منالي لا ينال مودتي	إلا مسلم كامل العقل
ولا يلبث الأخذان أن يتفرقوا	إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل

يقول صلي الله عليه وسلم : ((تبسمك في وجه أخيك لك صدقة)).

ويقول الحبيب : ((ألا أنبئكم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجالساً يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً)).

وقال تعالي عنه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤)

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(آل عمران: الآية١٥٩) (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة:١٢٨) .

يأتي ليصلي صلي الله عليه وسلم ، فيأتي أعرابي من الصحراء ليصلي معه، وفي التحيات يدعو الأعرابي ويرفع صوته ويقول: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً!

فيسلم صلي الله عليه وسلم فيقول: ((من قال منكم كذا وكذا؟)).

وهو يدري أنه الأعرابي ، لكن يريد أن تأتي من الإعرابي.

فسكت الناس.

قال صلي الله عليه وسلم : ((من قال منكم كذا وكذا؟)).

فرفع الأعرابي يده لينال جائزة!!

فقال: أنا يا رسول الله.

فتبسم صلي الله عليه وسلم وقال ك ((لقد تحجرت واسعاً، إن رحمة الله وسعت كل شيء)).

يقول تعالي: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْء)(لأعراف: الآية١٥٦).

فما يلبث الأعرابي إلا أن يكمل طريقة ومشواره فيذهب في طرف المسجد فيبول!

فيقوم الصحابة يريدون أن يلقنوه درساً من التعليم لا ينساه أبداً.

فيقول صلي الله عليه وسلم : ((دعوه ، اتركوه)) ويجلسهم صلي الله عليه وسلم ويستدعي الأعرابي ويجلسه لأن الأمر أسهل من ذلك.

ويقول صلي الله عليه وسلم : ((إلى بذنوب من ماء))، فيأتون بذنوب من ماء فيصبونه على بول الأعرابي.

لقد انتهت المشكلة.

فقال صلي الله عليه وسلم للأعرابي : ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من الأذى، إنما هي للتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل))).

فيقوم الأعرابي فيتوضأ ويصبح مسلماً، ويخبرهم صلي الله عليه وسلم أنهم لو ضربوه لدخل النار بسببهم.

ويأتي أعرابي آخر فيجر بردة الرسول صلي الله عليه وسلم فتؤثر حواشيها في عنق وفي كتف الرسول صلي الله عليه وسلم ، فيلتفت صلي الله عليه وسلم ، فيقول الأعرابي: أعطني يا محمد من مال الله الذي عندك لا من مال أبيك ولا أمك.. وما الداعي لهذا الكلام؟ ولم هذا الحرج؟ ولماذا هذه الجفوة؟

فنظر صلي الله عليه وسلم إليه وتبسم وضحك إليه.

فقام الصحابة يريدون البطش به.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((دعوه)) ثم أخذ من يده وأعطاه من مال الله زبيباً وحباً وثياباً وقال: ((هل أحسنت إليك ؟)).

قال: نعم، فجزاءك الله من أهل وعشيرة خير الجزاء.

قال: ((إذا خرجت فقل لأصحابي ذلك فإنهم وحدوا في أنفسهم)).

فيخرج به صلي الله عليه وسلم فيسأله أمامهم: ((هل أحسنت إليك؟)).

قال: نعم جزاك الله من أهل وعشيرة جير الجزاء.

فتبسم صلي الله عليه وسلم ويقول: ((أتدرون ما مثلي ومثلكم ومثل هذا الأعرابي؟)).

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: ((مثلنا كرجل كان له دابة فرت منه فلحقها، فلما رآها الناس لحقوها فما زادت لا فراراً، فقال الرجل: يا أيها الناس خلوا بيني وبين دابتي فأنا أعرف بها، فأخذ شيئاً من خشاش الأرض وخضار الأرض فأشار للدابة فأتت وأكلت، فأمسكها وقيدها، ولو تركتكم وهذا الأعرابي لضربتموه ثم ارتد فدخل النار)).

وعاد الإعرابي إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا عن بكرة أبيهم.

إن هذا الأصل الرابع من أعظم أصول التربية، وإن الجفاء والغلظة لا تكسبك إلا بغضاً وحقداً، وإن اللين لا يكسبك إلا حباً في القلوب والأرواح.

قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه وأرضاه: والله ما رآني صلي الله عليه وسلم إلا تبسم وجهي.

ما أحسن البسمة! هي السحر الحلال.

قيل لأحد العلماء: ما هو السحر الحلال؟

قل: تبسمك في وجوه الرجال.

وفرق بين المتكبر الجاف الذي لا يبتسم، وإذا تبسم كأنه يقطر عليك بالقطارة، أو كأنه ينفق عليك من دمه ، أو كأنه يمن عليك بالبمسة، وبين من تلقاه بشوشاً طلقاً.

وجوههم من سواد الكبر عابسة	كأنما أوردوا غصباً إلى النار
هانوا على الله فاستاءت مناظرهم	يا ويحهم من مناكيد وفجار
ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً	اعكوك من نورهم ما يتحف الساري

تروي وتشبع من سيماء طلعتهم بوصفهم ذكروك الواحد الباري

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم يسري بها الساري

وفي صحيح مسلم أن معاوية بن الحكم السلمي دخل المسجد فصلي مع الصحابة وراء الرسول صلي الله عليه وسلم ، فعطس رجل، فقال معاوية ــ وهو لا يعرف الحكم ــ : رحمك الله!

فعطس ثانية.

فقال: رحمك الله.

فضرب الصحابة على أفخاذهم ينبهونه.

قال: ويل أمي ماذا فعلت؟

يريدونه يسكت فزاد في الكلام.

فلما سلم صلي الله عليه وسلم قال معاوية: فدعاني بأبي هو وأمي، فما رأيت معلما أحسن منه ولا أحلم منه ولا أرحم منه، ما كهرني ولا سبني ولا شتمني بل وضع يده على كتفي وقال: ((إن هذه الصلاة لا تصلح للكلام، وإنما هي لقراءة القرآن والذكر والتسبيح)).

وأي إبداع بعد هذا الإبداع؟ وأي لين بعد هذا اللين؟

أما الأصل الخامس فهو الطموح وعلو الهمة.

فقد ربي صلي الله عليه وسلم أصحابه علي التعلق بالعالي وترك السفاسف.

ولذلك تجد شبابهم وأطفالهم في زمن الرسول صلي الله عليه وسلم كانوا أصحاب همة عالية وطموح راق، فابن عباس مثلاً من طموحه أنه كان يتابع الرسول صلي الله عليه وسلم في بيت خالته ميمونة ليعلم كيف يقيم الليل وكيف يكون شأنه أثناء الليل.

وابن عمر رضي الله عنهما يتخصص في متابعة حركات وسكنات الرسول صلي الله عليه وسلم خارج بيته وهو لا زال صغير السن.

فلذلك حفظ كثير من السنن التي لم تأت إلا من طريقه.

وهكذا غيرهما.

فأين أولئك من أطفالنا في هذه السنين ؟ عندما اصبح أكبر طموحهم أن يجمعوا الطوابع أو يضيعوا الوقت في اللعب.

أو أن يكون أحدهم في الكبر تاجراً يملك الملايين أو صاحب منصب يتباهي به عند الناس.

ومن همة الصحابة أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان جالساً معهم يوماً من الأيام،

فأخبرهم أن للجنة أبواباً ثمانية، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وهكذا..

فقال أبو بكر وهمته تحركه: يا رسول الله أيدعي أحد من تلك الأبواب جميعاً؟

قال صلي الله عليه وسلم : ((نعم يا أبا بكر وأرجو أن تكون منهم)).

من لي بمثل سيرك المدلل   تمشي رويداً وتجيء في الأول

فيسألهم صلي الله عليه وسلم عن حاجتهم فكل منهم اختار شيئاً زائلاً

أنظر إلى الهمة والطموح.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((أعني على نفسك بكثرة السجود)).

هذه نماذج من الهمة العالية التي غرسها صلي الله عليه وسلم في أصحابه.

والنماذج كثيرة من حياتهم الحافلة.

فواجب على كل مرب أن يغرس هذا المبدأ، مبدأ الطموح والهمة العالية في نفوس أبنائه وتلاميذه حتى يتربوا على حب المعالي والمنازل الرفيعة بدلاً من أن تجول طموحاتهم حول السفاسف والأمور الهزيلة.

والله أعلم ، وصلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إليكم أيها الآباء

الحمد لله الذي جعل الأبناء لعيون الآباء قرة.. وجعلهم لقلوبهم مسرة.. وجعل الأبناء في جبين السعادة درة.. وأوصي بهم وبتربيتهم في الكتاب والسنة كرة من بعد كرة.

والصلاة والسلام على خير الآباء أبي الزهراء .. سيد الأولياء .. وأعظم الأصفياء.. وأجل المربين النبلاء.

واشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وعل آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الآباء النبلاء.. إن من أعظم المواهب التي يهبها الله تبارك وتعالي للعيد أن يرزقه الذرية الصالحة الناصحة والأبناء النجباء الأتقياء،

حينها تسعد في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وهذا العطاء الرباني يصلح بسببين اثنين:

أولهما: قضاء وقدراً من الحي القيوم، وهداية منه تبارك وتعالي.

وثانيهما: سبب كسبي من العبد بالتربية والتعليم والتوجيه.

فإبراهيم الخليل دعا الله تبارك وتعالي أن يجنب أبناءه الشرك والوثنية:)وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (ابراهيم:٣٥) ، كأنه يقول: يا رب لا تجعل أبنائي وثنين ومشركين وفجرة ، حينها تنغص الحياة وتتكدر على، وتظلم الدنيا في عيني.

ويقول بعدها بآيات :)رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (ابراهيم:٣٧)، يا رب : أبنائي يقيمون الصلاة فلا تضيعهم يا رب.

أبنائي طائعين أتقياء أخيار فلا تجعلهم ضلالاً ومشركين.

ويقول في سورة البقرة يوم طلب الولاية من الله له ولأبنائه: (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)(ابراهيم: من الآية٤٠)، فقال الله:) لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)(البقرة: الآية١٢٤). ولو كان الأب خيراً باراً سعيداً تقياً فلن تنال ولاية الله ابنه الفاجر، لأن الله ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب ولا واسطة ولا شفاعة، ألا من ارتضي من عباده الأخيار.

وزكريا عليه السلام يشرف على الهرم ويدركه الشيب ويضمحل جسمه، فيلتفت إلى القبلة ويرفع أكف الضراعة إلى الحي القيوم ويقول: (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً(٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً) (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوب)(مريم: الآية٤ــ٦)النبي صلي الله عليه وسلم يقول : يا رب أسألك ابناً صالحاً يرثني في الخير ويدعو لي وأنا في القبر فيكون في ميزان حسناتي.

ويقول الله في سورة الكهف بعد أن حفظ للغلامين الكنز: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً)(الكهف: الآية٨٢).

ويمن الله على زكريا عيه السلام بهداية أبنائه فيقول:) وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الانبياء: الآية٩٠).

ومدرسة التوجيه والتربية في القرآن تعتمد على الوصايا النافعة لا على المبادئ المهزوزة الفاشلة، والتعاليم التي اسقيها أبناء المسلمين في هذا العصر، فنشأ جيل فاسق وفاجر إلا من رحم بك.

يقول لقمان لابنه وهو يعظه: (يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(لقمان: الآية١٣) أي وصية هذه ؟ وأي تعاليم هذه التعاليم؟ وأي مبادئ هذه المبادئ؟

وتربية الأبناء أيها الآباء النبلاء الفضلاء الشرفاء تحصل في أمور أفرد بعض العلماء فيها تصانيف، ومن أجل ما تحصل به.. أمور:

أولها: اختيار الزوجة الصالحة.. ويوم تفشل في اختيار المرأة الصالحة سوف ينشأ النشء غير مستقيم ولا مهتد ولا مسترشد.

الأم مدرسة إذا أعددتـــــــــها أعددت شعباً طيب الأعراق

الأم نبت إن تعاهده الحيـــــا بالري أورق أيما إيـــــراق

فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: ((**تنكح المرأة لأربع: لماها وانسبها ولجمالها ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك**)).

فأهل فارس يتزوجون للجمال.

واليهود يتزوجون للنسب.

وأما أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيتزوجون للدين وللاستقامة. فالأم إذا كانت صالحة مرشدة نشأ أولادها حفظة لكتاب الله أخياراً إبراراً سعداء، يتشرفون بحمل الرسالة ولا يخجلون إذا تلبسوا بالسنة.

والأمر الثاني: يحصل بذكر الله يوم أن يلتقي الرجل بالمرأة.

والأمر الثالث: يوم يقع رأس المولود.

فإن من هدي الإسلام مع هذا المولود أموراً كثيرة:

منها : أن الرسول صلي الله عليه وسلم لما ولد الحسين بن على أذن في أذنه.

لينشأ الطفل على لا إله إلا الله ، ولينشأ على الأذان ، وليغرس في قلبه معالم هذا الأذان ، وليجيب إليه المساجد والرياض الخضرة بتقوى الله وبذكر الله.

أذن صلي الله عليه وسلم في أذنه لتهتز بالوحدانية، ولينشأ قلبه على الصمدانية ، وليكون عبداً لله من أول يوم.

ومما زادني شرفـــــــــــاً وفخــــــــراً

وكدت بأخمصي أطأ الثريــــــــا

دخولي تحت قولك يا عبــــــــــــادي

وأن صيرت أحمــــــــد لي نبينا

وفي بعض الآثار ونقل هذا عن عمر بن عبد العزيز ، أنه يقام في الأذن الأخرى فيؤذن في الأذن اليمنى ويقام في الأخرى.

ومنها : أن النبي صلي الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً كما في السنن، وقال عليه الصلاة والسلام: ((كل مولود مرهون بعقيقته يعق عنه يوم السابع)).

ومنها: أن يحلق رأسه ويتصدق بوزنه فضة كما ثبت ذلك في الآثار والأحاديث الصحيحة.

ومنها: أنه صلي الله عليه وسلم سن للآباء تحسين الأسماء للأبناء النبي صلي الله عليه وسلم ففي الصحيح: ((أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن)).

فليكن اسم ابنك جميلاً، اسماً إسلامياً عربياً قوياً، لا اسماً فيه أنوثة، ولا اسماً فيه تدليع وتدليل، ولا اسماً مستورداً من الخواجات والعملاء والضلال أبناء الوثنية.

ورد عنه صلي الله عليه وسلم أن الناس اختاروا الأسماء الطيبة البديعة المليحة الحسنة، لتكون عنواناً لكم يوم القيامة ويوم العرض الأكبر تدعون بها.

وسنن الإسلام كذلك أن يربي الطفل على تقوى الله، وأن تغرس في قلبه طاعة الله، وأن تزرع في قلبه شجرة الإيمان.

فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول لابن عباس وهو طفل كما في الترمذي بسند حسن: ((احفظ الله يحفظك)).

ومن أدب الإسلام وهديه مع الأطفال أنه إذا بلغ الطفل السابعة يؤمر بالصلاة، فيقول له الأب: صل معي.. هيا إلى المسجد ... حتى يعتاد ذلك.

ويوم أن يعرف الابن طريق المسجد فلن يعرف طريق السجن ولا الحبس أبداً، ولن يعرف طريق الخمارة ولا المقاهي اللاهية ولا المنتزهات الاغية، ولا جلساء السوء ولا الليالي الحمراء.

فإذا بلغ العاشرة أمر لأمراً جازماً .. واستخدم معه الضرب.

هذه تعاليم سماوية ومبادئ أصلية جليلة لا بد أن تكتب في الصدور لا في السطور.

فإذا ما ترعرع ، فاستصحبه دائماً واحضر به جلسات الخير ومنديات البر ومعالم التوحيد ومحاضرات التوجيه والتربية، ولا تتركه لاعباً ولاهياً في السكك وتأتي أنت تتعلم.. كأنك تهدم من شق وتبني من شق.

ومن الأمور التي يؤكد عليها الإسلام وهي في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله صلي الله عليه وسلم أن يكون الأب قدوة لابنه.

ولم يفشل كثير من الآباء في تربية أبنائهم إلا يوم أن ربوهم بالقول وتركوا الفعل والعمل، (تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (البقرة:٤٤) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ) (الصف:٢).

يريد من ابنه أن يكون صادقا بالقول، لكن هذا الأب كاذب يتعدى حدود الله في العمل.

يريد من ابنه أن يكون مصلياً محافظاً على الصلوات الخمس في الجماعة، ولكن هذا الأب لا يعرف المسجد أبداً.

فكيف يهتدي؟

إن الابن في مرحلة الشبيبة يقلد أباه تقليداً تاماً، فمن الهدى ومن الخير ومن السداد والمصلحة يا عباد الله أن نكون قدوة لأبنائنا في البيوت نأمرهم بالخير ونأتيه، وننهاهم عن المنكر ونجتنبه، ليصلح الله لنا الظاهر والباطن.

ومن الأمور المهمة: تعليم الأبناء تعليماً شرعياً يعتمد على الكتاب والسنة.. لا تعليماً ثقافياً سامجاً لا يقود إلى المسجد ولا يجيب إليهم طاعة الله وطاعة رسوله صلي الله عليه وسلم ، ولا يجنبهم المعاصي.

فينبغي عليك أن تحرص على تحفيظه كتاب الله منذ الصغر ليكبر وقد حفظ وفهم في دين الله ونال الأجر العظيم الذي لن ينساه لك ما دام حياً.

وكذلك ينبغي اختيار الصحبة الصالحة له.. وعدم تركه يتخير من شاء من زملائه الذين قد يكونون من غير أهل الاستقامة والصلاح، لأنه:

عن المرء لا تســـــال وسل عن قريــنه

فكل قرين بالــــــمــــــقارن يقتدي

أسال الله أن يصلح للجميع أبناءهم ليكونوا قرة عين لهم وسعادة في الدنيا والآخرة.

والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الطفل المسلم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد ..

إذا كان الحديث عن محمد صلي الله عليه وسلم فإنه حديث جميل ومفيد وممتع.

وفي الرسالة سنأخذ جانباً واحداً من حياته العظيمة صلي الله عليه وسلم ، وهو جانب الطفل، فنعرف كيف ربي الطفل؟ وكيف حنا على الطفل؟

وكيف غرس في الطفل الإيمان.

يا طفل غرد في تبسم أحمــــــد
وابسم ضياء جبينه المتلالي

واسعد برؤية خير من وطئ الثري
راعي اليتامي قائد الأبطال

وعناصر هذا الدرس خمسة:

أولها: مكانة الطفل في قلب محمد صلي الله عليه وسلم .

ثانيها: تربية صلي الله عليه وسلم للأطفال.

ثالثها: رحمته بالأطفال صلي الله عليه وسلم .

رابعها : من أحكام الأطفال.

خامساً: الأطفال الكبار أهل الاهتمامات العالية الشاهقة المرتفعة التي غرسها محمد صلي الله عليه وسلم .

أما مكانة الطفل في قلب محمد صلي الله عليه وسلم فهي مكانة عالية جداً ، فقد كان صلي الله عليه وسلم يحنك الأطفال بيده ليشرقوا على نور لا إله إلا الله محمد رسول الله، فينشأ الطفل في عهده صلي الله عليه وسلم أكبر قضاياه في الحياة أن ينصر دين الله، وأن يرفع كلمة لا إله إلا الله، وأن يسجد لله.

ولقد وجد الطفل في الرسول الكف الحانية ، والدمعة المؤثرة، والبسمة الرقيقة ، والدعابة الحية.

ووجد الطفل في الرسول صلي الله عليه وسلم الأب المربي، والشيخ الجليل، والمصلح النبيل. فكان أطفال الصحابة ينهجون نهجه صلي الله عليه وسلم في حركاته وسكناته لأنه مؤثر جد مؤثر، (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(آل عمران: الآية١٥٩).

فهو صلي الله عليه وسلم منذ النطفة الأولي لهذا الطفل المسلم وهو يرعاه ويهتم به.

ففي الصحيحين عنه صلي الله عليه وسلم انه قال: ((لو أن أحدكم إذا أتي أهله قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم رزق بمولود لم يضره شيطان.

وأما إذا ولد الطفل فقد صح عنه صلي الله عليه وسلم في صحيح البخاري أنه قال: ((ما من مولود إلا وقد نزغه الشيطان إلا عيسى ابن مريم))النبي صلي الله عليه وسلم أما ترى الطفل كيف يبكي عند ولادته.

سبحان الله! لقد كان في بطن ضيق ولم يبك، فلما خرج إلى أرض فسيحة بكي!.

ولدتـــــك أمـــــك باكيـــــــاً مستصرخــــــــاً
والناس حولـــك يضحـــــكــــــون سرورا

فاعمل لنفسك أنت تكــــــــــون إذا بكـــــــوا
في يــــــوم مـــــوتك ضاحـــــكاً مسرورا

وقال الثاني:

ويكفيك من ضيق الحياة وبؤســــــــــــها
دليـــــلاً بكــــــــاء الطفل ساعة يـــــــولد

وإلا فما يبكـــــــــــــيه منـــــها وإنه
لفي بطن أم كـــــان بالعيش يســــــــــعــد

وقال أبو العتاهية في أبيات عجيبة جميلة:

أذان الطـــــفـــــل في المــــــيلاد دومـــاً
وتأخير الصــــلاة إلى الـــــمــــمــــــات

دليل أن مـــــــحيــــــاه قـــــــليل

كـــــما بيـــن الإقامـــة والصـــلاة

أي إبداع هذا! معني الأبيات أن الطفل يؤذن في أذنه حين يولد ولكن لا يصلى ولا يصلى عليه، ولكن تتأخر الصلاة إلى موته.. وهي صلاة الجنازة! فكأن الأذان والصلاة هما صلاة واحدة.

وهذا دليل على قصر هذه الدنيا، لأنها شابهت ما بين الأذان والإقامة.

ويولد الطفل لكن يولد على التوحيد ولا إله إلا الله، فما من طفل في العالم إلا ويولد وفي قلبه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فأول ما يقع رأسه على الأرض يقع علي العقيدة الحية، ويقع على الرسالة الخالدة، ويقع موحداً مؤمناً على الفطرة،)فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)(الروم: الآية٣٠).

فلا يولد شيوعياً، ولا علمانياً، ولا ماسونياً، ولا يهودياً، ولا نصرانياً، ولكن يولد حنيفاً مسلماً.

وقد صح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))، إذا فهو مسلم، أول ما يأتي الطفل أو الطفلة يولدان على هذا الدين الحنيف.

فإذا وقع الطفل في الأرض كان من هديه صلي الله عليه وسلم أن يؤذن في أذنه .

والأذان في أذن الطفل حديث حسن عند أبي داود وغيره.

وقد أذن صلي الله عليه وسلم في أذن الحسن ابن ابنته.

قال أهل العلم : إنما أذن صلي الله عليه وسلم في أذنه لمقاصد.

منها : أن يلهمه الله التوحيد وأن يكون على الفطرة.

ومنها: أن الأذان إعلان للإسلام.

ومنها: أن الأذان يطرد الشيطان.

أما الإقامة فحديثها ضعيف، ولكن يكفي الأذان أن يخترق هذه الآذان ليصل إلى القلب فيغرس أشجاراً من الإيمان ومن اليقين ومن الإخلاص.

وطفل ينزل من بطن أمه فيتلقى بالأذان طفل سعيد في الحقيقة، وطفل طيب الأعراق

وطيب الأصل وطيب المنشأ بإذن الله.

وكان صلي الله عليه وسلم يحتك الأطفال ــ كما سبق ــ ، والتحنيك أن يأخذ صلي الله عليه وسلم تمراً أو نحوه فيدخل أصبعه الشريفة في فم الطفل قبل أن يأكل فيلقمه إياه.

وكانت المرأة المسلمة إذا أنجبت طفلاً بعثت به إلى معلم الخير في لفائف، ليكون أول ما يباشر بطنه ريق محمد صلي الله عليه وسلم ، الريق المبارك، الريق الصافي، الريق الطيب الجميل.

قال أنس في الصحيح : ولدت أم سليم ابناً لها ــ هذا الابن أخ لأنس من أمه ــ فقالت : أذهب به إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فأخذ أنس الطفل وذهب به إلى معلم الخير، فاستقبله صلي الله عليه وسلم وحنكه بتمرة، فكأن الطفل يمتصها بشوق، فقال صلي الله عليه وسلم : ((انظروا لحب الأنصار التمر)).

وكان صلي الله عليه وسلم يسمي الأطفال، لكنه كان يختار أسماء إسلامية شرعية تقود الطفل إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

وكان يقول في الصحيح : ((أحب السماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن))النبي صلي الله عليه وسلم رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بأسانيد صحيحة.

وكان يقول : ((اصدق الأسماء همام وحارث)).

قل ابن تيمية ك إنما قال همام لأن الإنسان يهم بقلبه، وهو حارث بحركته دائماً، فجمع بين الاثنين صلي الله عليه وسلم .

والعرب كانت تحب السماء القوية اللامعة ، ولذلك كانوا يسمون بأسماء الأسود كاسم (حمزة) (أسامة) (حيدرة).

أما في عصرنا هذا فقد أصبحوا يسمون الأولاد بأسماء منكرة، إما غير أصلية ولا قوية كأسماء تدل على الأنوثة والرقة.
أو أسماء لا يعرف لها معني ، كاسم (صنيهيت)، فهو لا فعل ماضي ولا مضارع ولا اسم ولا حرف! و(شليويح)!.

وقد سمي صلي الله عليه وسلم بأسماء الأنبياء، فلما ولد له ولد سماه على اسم إبراهيم الخليل عليه السلام، لأنه كان أشبه الناس بإبراهيم (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيّ)(آل عمران: الآية٦٨).

وسمي ابن موسى الأشعري (إبراهيم).

وكان صلي الله عليه وسلم يغير الأسماء المنكرة، فقد اسم (غاوي) على (راشد)،

وغير (ظالم) إلى مقسط) وغير (عاصية) إلى (جميلة)، وغير اسم (بره) إلى (زينب).

ونهي عن التسمية بيسار ونجيح ورباح لكي لا يقال: أرباح في البيت؟ فيقال: لا .. فيذهب البال إلى التشاؤم.

ومن السنة للطفل أن الرسول صلي الله عليه وسلم أمر بحلق رأسه تفاؤلاً بأن يزيل الله الأذى عنه.

كما يقال عن الحلق في العمرة والحج بأنها تفاؤل بذلك.

ويتصدق بوزنه ورقاً للمساكين، وهذه حكمه عظيمة ربما أدركناها أو لم ندركها، لينشأ متصدقاً ، ولينشا مزكياً، ولينشأ على سنة الرسول صلي الله عليه وسلم .

وأمر صلي الله عليه وسلم بالعقيقة عن الغلام كما في الصحيح: عن الولد شاتان وعن الجارية شاة واحدة.

وكان يكره صلي الله عليه وسلم العقوق ، وصح عنه انه قال صلي الله عليه وسلم : ((كل غلام مرتهن بعقيقته))، فمن السنة أن تذبح شاتين اثنتين إذا ولد لك مولود ذكر، وأما الأنثى فشاة واحدة، لحكمة بالغة ومقصد جميل، استبشاراً بهذا المولود ، ولينشأ على بر وصدقة، ولتطعم جيرانك وإخوانك منها.

فإن الولد الصالح من أعظم النعم، قال زكريا عليه السلام:) رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)(الانبياء: الآية٨٩) فرزقه الله ذرية صالحة.

والولد الصالح حياة، والولد الصالح أثر، والولد الصالح اتصال لك بالنور والخلود، والولد الصالح يدعو لك بعد الممات فيزيد في عملك الصالح صلاحاً وفي خيرك خيراً وفي برك براً، والولد الصالح يدركك في الشيخوخة فيقم من عضدك ويقوي من ساعدك ويكون لك نعم الأثر.

قال البخاري في الصحيح في كتاب الجهاد (باب) من طلب الولد للجهاد، ثم أتي بقصة سليمان عليه السلام عندما قال: (لأطوفن الليلة علي مائة امرأة) وفي لفظ (على ستين) وفي لفظ (على سبعين) ، كلهن يلدن مجاهداً في سبيل الله) لكنه لم يقل (إن شاء الله)، فما ولدت منهن إلا امرأة ولدت نصف ولد.

فالولد الصالح هو من أحسن ما يكون إذا ولد على الفطرة ونشأ نشأة طيبة، فكان من شكر المنعم سبحانه وتعالى أن تعق عنه بعقيقة، وأن تطعم جيرانك وإخوانك وأحبابك.

وكان صلي الله عليه وسلم يداعب الأطفال بعد أن يكونوا في سنن المداعبة، ويفهموا الكلام، ويفهموا البسمة الحانية والفكاهة.

أنت للطفل أب في مهـــــــــده عجباً من قلبـــــــك الفــذ الكبير

وعند أحمد والنسائي عن شداد بن الهاد رضي الله عنه قال: خرج علينا الرسول صلي الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي صلاة الظهر أو صلاة العصر، فتأخر صلي الله عليه وسلم في السجود.

أتدرون ما السبب؟ لقد أتي الحسن بن على ابن ابنته فرأي الرسول صلي الله عليه وسلم ساجداً فارتحله وصعد على ظهره.

انظر إلى المنظر! رسول البشرية يسجد في الأرض ض فيرتحله طفل، فيمكث صلي الله عليه وسلم ولا يقوم من السجود، وبعد أن نزل الحسن قام صلي الله عليه وسلم وصلي وسلم واعتذر من الناس وقال: ((يا أيها الناس لعلي تأخرت عليكم في السجود، إن ابني هذا ارتحلتني وأنا في الصلاة فخشيت أن أرفع من السجود فأوذيه)) ، أو كما قال صلي الله عليه وسلم .

فهل وجدتم رحمة كهذه؟

فكيف لا يحبه الأطفال بعد هذا؟

عن بعض الأطفال اليوم إذا رأوا بعض الناس يخافون ويصيبهم الهلع والفزع.

وبعض الآباء لا يقبل أطفاله، وبعضهم إذا انتهر أطفاله أغمي على أحدهم!

وإذا دخل أبوه عليه في البيت قال لسان حاله: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)!.

وفي الصحيحين أن غلاماً أخاً لأنس اسمه أبو عمير كان له نغر (طائر صغير) يلعب به، فمات النغر فذهب هذا الطفل فأخبر أخاه أنس وقال: مات نغري.

فذهب أنس فأخبر الرسول صلي الله عليه وسلم، فقال صلي الله عليه وسلم لأخيه الصغير: ((يا أبا عمير ما فعل النغير))؟ يقول: احسن الله عزاءك في هذه المصيبة!

فكان يجد من الوقت صلي الله عليه وسلم أن يعزي طفلاً بطائرة.

قال الزنادقة: أهل الحديث لا يفهمون شيئاً، يروون أحاديث لا معاني لها.

قالوا: مثل حديث : ((يا أبا عمير ما فعل النغير))، ليس فيه فائدة.

قال الشافعي: قاتلكم الله، في هذا الحديث ستون فائدة، ثم سردها!

وعودوا إلى فتح البارى لابن حجر فقد ذكر منها عشرين فائدة.
منها: تكنية الصغير.

وتكنية من لا ولد له.

وتصغير الاسم للتحبب.

وملاعبة الأطفال.

والأنس مع الطفل.

وزيادة الطفل في بيت أهله للمصلحة.

ومنها: أن الوقت المباح إذا كان لغرض شرعي صحيح فإنه يؤجر عليه العيد.

ومنها: أخذ الطفل للطائر.

وجواز حبس الطيور في البيوت لملاعبة الأطفال.

ومنها: ربط الخيط في رجل الطائر وأنه ليس من التعذيب.

ومنها: فوائد كثيرة ليس هذا مجال بحثها.

أتته صلي الله عليه وسلم طفلة صغيرة اسمها أم خالد، فوجد عليها ثياباً ممزقة صلي الله عليه وسلم ، وهي طفلة ، فألبسها لباساً ثم قال: ((هذا سنا))، وهذا بلغة الحبشة أي: حسن.. لأنها عاشت مع أمها في الحبشة أيام الهجرة الأولي.

أتظن أن دعابة منه صلي الله عليه وسلم أمر سهل؟

أتظن أن بسمة منه يجود بها لإنسان شيء يسير؟

لا والله، فبعض الناس اليوم يحفظ كلمة من بعض الزعماء أو السلاطين ويقول كلمني وقال لي مباشرة.

فكيف لو كلمك محمد صلي الله عليه وسلم ؟

وعند أحمد بسند حسن أن الرسول صلي الله عليه وسلم صف عبد الله وعبيد الله وكثير أبناء العباس أبناء عمه، وهم ثلاثة صغار بين كل واحد منهم والآخر سنة.

ثم قال: من يسبق إلى فله كذا وكذا.

فأخذوا يتسابقون فسبق أحدهم فأعطاه الجائزة.

سبحان الله !

ربما قال قائل ــ لو قلنا له : افعل هذا مع أطفالك ــ : وقتي ضيق.

ولكن لو عرفت معاني التربية ومعاني الخلود في سيرته صلي الله عليه وسلم لأعطيت هذه الساعة الثمينة من هذا الوقت الضيق.

وعن أنس وهذا صحيح مسلم قال: كان الرسول صلي الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، فأرسلني في حاجة، فقلت: والله لا أذهب ! وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله.

هو كان في سن العاشرة تقريباً.

قال : فسكت صلي الله عليه وسلم ، ثم مر بي وأنا ألعب مع الأطفال فأخذ بأذني يضاحكني وقال: ((يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟)).

قلت : سأذهب إن شاء الله ! فذهبت.

ويقول أنس: والله لقد خدمت الرسول صلي الله عليه وسلم عشر سنوات ما قال في أمر فعلته لم فعلته، ولا في أمر لم أفعله لم لم تفعله.

وكان صلي الله عليه وسلم يحمل الحسن والحسين على عاتقه ــ وهذا الحديث عند أبي يعلى بسند حسن ــ فرآه عمر فقال: نعم الفرس تحتكما.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((ونعم الفارسان هما))، أنعم بالحسنــ وأنعم بالحسين، لكن جدهما صلي الله عليه وسلم هو العظيم.

نســـب كـــأن عليـــــــه من شمس الضحى
نوراً ومن فلق الصبـــــــاح عمــــــودا

وكانت أم قيس بنت محصن تأتيه صلي الله عليه وسلم تستفتيه ، فيأخذ طفلها من يديها ويجلسه في حضنه ليسمع السؤال قبل أن يفتي.

ومرة أخذ الطفل فبال قبل أن تأكل الطعام فنضح بوله صلي الله عليه وسلم .

أي خلق وأي تواضع هذا؟

قال أبو هريرة : كنت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سوق من أسواق المدينة فانصرف، فانصرفت. فقال: ((أين لكع)) ثلاثاً . ((ادع الحسن بن على))... فالتزمته فقال: ((اللهم إني أحبه، فأحبه، وأحب من يحبه))، وزمرة جده صلي الله عليه وسلم .

وفي كتاب المختارة للضياء أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يلاعب بنت ابنته واسمها زينب وكان يقول: ((يا زوينب يا زوينيب)) ويلاعبها ويمازحها صلي الله عليه وسلم
أما العنصر الثاني فتربية صلي الله عليه وسلم للأطفال.

لقد كان المعلم الأول، من تربية صلي الله عليه وسلم للأطفال أنه رباهم على الإيمان ، ثم إنه لبي لهم أغراضهم ومقاصدهم الإيمانية المباحة، فلم يحجر عليهم الدعابة.

لأن بعض الناس إذا رأي أطفاله يلعبون أو يصيحون أو ينشدون في البيت غضب عليهم وقال: لا تضيعوا أوقاتكم.

سبحان الله! تريد طفل صغير أن يكون كابن حجر أو كابن تيمية في طفولته.

لابد أ يلعب ، ولابد أن يضحك ، ولابد أن يغرد ، ولابد أن ينشد ، ولكن اجعل لعبه في حدود الشرع، واجعل نشيده ف حدود الأدب.

الأمر الثاني: أن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يحيط الطفل بسياج من الآداب الشرعية عند الولادة، وعند التحنيك ، وعند التسمية، وعند العقيقة، وعند النوم، وعند اليقظة، وعند الأكل، وعند الشرب.

صح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال ــ كما عند أحمد وأبي داود بسند صحيح: ــ : ((مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع))النبي صلي الله عليه وسلم وفي هذا فوائد:

أولها: أن بداية الأمر في السبع وهو أمر بلا ضرب، لكن تدعوه وتحثه وتحبب إليه الصلاة.

الثانية: أن بداية التعزيز هي سن العاشرة.

الثالثة: أن تفرق بينهم في المضاجع، أي أن يناموا متفرقين لحكم جليلة يعرفها المسلمون.

وكان عمر ابن أبي سلمة يأكل معه مرة من المرات فجعلت يده تطيش في الصفحة، فقال له صلي الله عليه وسلم عدة آداب : ((يا غلام ، سم الله، وكب مما يليك، وكل بيمينك)).

فهي ثلاثة آداب ينبغي على الأب أن يوجه أطفاله إليها: التسمية، والأكل باليمين، والأكل مما يلي الطفل.

وعند الترمذي والنسائي بسند فيه ضعف يقول صلي الله عليه وسلم لأنس : ((يا بني إياك والالتفات في الصلاة فإنه هلكة))، واستخدم صلي الله عليه وسلم لفظه(يا بني) لأنها محببة وأنيسة للطفل.

ولقمان عليه السلام يوم أوصي ابنه : (يَا بُنَيّ)(لقمان: الآية١٦) لأنها تجعل الأنس في قلب الطفل، وهي تستخدم لغير الابن من الصلب، فيقال تحبباً (يا بني).

وكان له صلي الله عليه وسلم في جانب العقيدة مع الأطفال مواقف: يقول ابن عباس والحديث عند أحمد والترمذي : كنت ردف محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي حمار.

فقال: ((يا غلام)).

قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله.

قال: ((إني أعلمك كلمات)) اسمع إلى الكلمات النيرة.. اسمع إلى الوصايا التي تشري بالدماء ، فهي أغلي من الذهب والفضة: ((أحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فأسال الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

وصح عند البخاري والدرامي أنه صلي الله عليه وسلم كان يمر بالصبيان فيسلم عليهم فيقول: ((السلام عليكم ورحمة الله)).

وهذا من التواضع العظيم، لأن المتكبر لا يسلم على الأطفال ولا يسلم على الناس، بل ينتظر من يسلم عليه.

ولذلك ((يحشر المتكبرون يوم القيامة على هيئة الذر يطؤهم الناس)) حديث صحيح رواه مسلم.

فالمتكبرون:

ليســـــــوا كقــــوم إذا لاقيتهم عرضــاً
أهدوك من نورهم ما يتحف الساري

تروي وتشبع من سيمـــــاء طلعتهم
بذكرهم ذكروك الواحد البـــــــاري
من تلق منهم تقــــل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري

كان صلي الله عليه وسلم بالليل، فأتاه ابن عباس يصلي معه في ليلة هي من أحسن الليالي في حياة ابن عباس ؛ حيث بات رضي الله عنه عند خالته ميمونة ، لأنه يعلم أن الرسول صلي الله عليه وسلم سينام عندها تلك الليلة.

فنام في عرض الوسادة، وانتظر حتى جاء الرسول صلي الله عليه وسلم فأوهمهما أنه نائم رضي الله عنه، ونيته من المجيء أن يستفيد من المعلم الأول صلي الله عليه وسلم ، وليعلم كيف صلاته قيامه في الليل.

فلما قام صلي الله عليه وسلم يقضي حاجته أحضر له ابن عباس الماء ووضعه في

مكان قريب منه، فلما رأي صلي الله عليه وسلم الماء عنده عرف أنه من ابن عباس فقال: ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)).

وهذه الدعوة النبوية المباركة هي من أعظم ما حازه ابن عباس في حياته كلها، حيث أثرت على مستقبله فجعلته حبر الأمة وترجمان القرآن.

ثم قام صلي الله عليه وسلم يصلي فقام ابن عباس عن يساره ، فجعله صلي الله عليه وسلم عن يمينه، فصلي معه ما شاء الله، ونعم بليلة سعيدة هانئه هي اهنأ من لياليه عند أبيه وأمه.

ومر صلي الله عليه وسلم يوماً من الأيام بابن عمر وهو صغير فأخذ بمنكبه وقال له: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))، وهذه وصية ما نسيها ابن عمر رضي الله عنهما، بل بقيت تطن في رأسه حتى مات.

يعطونه الخلافة فيتذكر حديث: ((كن في الدنيا كأنك غريب)).

يقدمون له الذهب والفضة فيتذكر حديث : ((كن في الدنيا كأنك غريب)).

يسجد عند المقام ويبكي في السجود ويقول: اللهم إنك تعلم أني ما تركت الخلافة إلا من مخافتك يا رب العالمين.

ومر صلي الله عليه وسلم يوماً فوجد الحسن يأكل من تمر الصدقة؛ وبنو هاشم محرمة عليهم الصدقة، لأنها أوساخ الناس وهم أطهار، قلوبهم طاهرة وبطونهم طاهرة.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((كخ كخ، أما تدري أنا لا نأكل الصدقة)).

و((كخ كخ)) لفظ تستخدمه العرب زجراً للطفل عن عمل أي شيء غير مناسب.

مات ابنه صلي الله عليه وسلم وعمره سنتان وأشهر، وقيل: أقل من ذلك.. فأخذه بين يديه وقال ودموعه تهراق صلي الله عليه وسلم بأبي وأمي: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)) فهذا من رحمته بهؤلاء الصغار إذا حلت بهم مصيبة أو كارثة.

وفي الصحيح أن زينب ابنته صلي الله عليه وسلم أرسلت إليه أن يأتي إليها فإن ابنها في سكرات الموت.

والرسول صلي الله عليه وسلم كان مشغولاً بوفد من وفود العرب فقال: ((أبلغوها مني السلام وقولوا لها: إن لله ما أخذ، وله ما أعطي، وكل شيء عنده بأجل مسمي، فاتصبر ولتحتسب)).

فأخبروها فقالت : والله ليأتين.

فقام صلي الله عليه وسلم ومعه جل الصحابة، وقدم له الطفل ونفسه تقعقع كأنها في شن، وأخذت دموعه تهراق صلي الله عليه وسلم النبي صلي الله عليه وسلم فيقول ابن عوف: ما هذا يا رسول الله؟ قال: ((هذه رحمة يضعها الله في قلب من يشاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)).

وأتي الأقرع بن حابس ـــ والحديث في الابخاري ومسلم ـــ وكان صلي الله عليه وسلم يقبل الأطفال.

فقال الأقرع : تقبلون الأطفال عندكم؟

قال : (٠ نعم)).

قال: والله إن عندي عشرة أطفال ما قبلت واجداً منهم.

وكان يظن أن الرسول صلي الله عليه وسلم سيقول له: شكراً لك !!

لكنه صلي الله عليه وسلم قال : ((وما أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك))، لأن تقبل الأطفال رحمة، وكان يفعله صلي الله عليه وسلم كثيراً.

وصح عنه صلي الله عليه وسلم في صحيح البخاري أنه قال: ((غني لأدخل في صلاتي فأتجاوز فيها مما أسمع من بكاء الطفل خشية أن اشق على أمة)).

وعند البخاري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال عن الحسن والحسين: ((هما ريحانتاي في الدنيا)).

يقول ابن تيمية في مقتل الحسين بأنه من أعظم المصائب على المسلمين، وعلى المسلم إذا تذكر تلك القصة أن يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

فنحن نحبه في الله لأنه من عباد الله ومن أولياء الله ولقرابته من الرسول صلي الله عليه وسلم .

وفي الصحيحين من حديث أبي قتادة قال: صلي بنا صلي الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي، قيل العصر وقيل الظهر، فحمل أمامه بنت زينب في الصلاة على كتفه صلي الله عليه وسلم يصلى بها.

فتصور المشهد .. إمام البشرية يجمل طفلة وهو يصلى بالناس صلاة الفريضة بالمسجد.

أي رحمة.. وأي عطف هذا؟

قال: فإذا سجد وضعها وإذا قام رفعها.
وقد صلى الإمام الشوكاني في صنعاء ، فلما سجد سقطت عمامته في المحراب

فأخذها وردها.

فأنكر عليه الناس وقالوا: تحمل العمامة وأنت في الصلاة ؟

فقال: حمل العمامة أخف من حمل أمامة؟.

وأما العنصر الرابع فمن أحكام الأطفال، وأنا أعرضها عرضاً موجزاً.

١- أحكام الأطفال أنه ينضح على بول الغلام ويغسل بول الجارية، لما ثبت في الحديث عند أبي داود والترمذي وغيرهما، كما سبق.

وذلك ما لم يأكل الغلام الطعام، فإذا أكل غسل من بوله.

قال الشافعي : لأن حواء خلقت من ضلع آدم فهي من لحم ودم، وأما الطفل فهو من تراب لأن اصل أبيه من تراب.

وهذا اجتهاد منه رحمه الله.

٢- تصح إمامه الطفل لأنه ثبت في صحيح البخاري أن عمرو بن سلمة أم قومه وعمره سبع سنوات.

لكن أطفالهم كانوا كباراً في الفهم كباراً في الرجولة. ليسوا كحالنا الذي يبلغ فيه بعض الناس العشرين وهو سفيه.

فليس المقياس بالسن لكنه بالعقل والفهم عن الله عز وجل.

دخل الناس يبايعون عمر بن عبد العزيز وفيهم طفل صغير فسلم وأراد ان يتكلم، فقال عمر بن عبد العزيز: دونك يا طفل فيهم من هو أكبر منك.

فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أولى منك بالخلافة!! هل رأيت رداً أحسن من هذا؟

٣- متي يجاهد الطفل؟

بين أهل العلم خلاف: فالإمام أحمد يقول: أري في الخامسة عشر للحديث في الصحيحين ، قال ابن عمر: عرضت على رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سن فأجازني.

وقال سمره بن حندب: كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يستعرض الأطفال للجهاد يريد ان يري من هو القوي منهم فيقبله.

قال: فعرضت عليه فردني.

فبكي سمره.. بكي على ترك الجهاد.

وقبل صلي الله عليه وسلم رافع بن خديج.

فقال سمره: يا رسول الله تقبل رافع بن خديج وأنا اصرعه؟!.

قال: ((صارعه أمام الناس)).

فتصارع هو ورافع فصرعه سمره، فأجاز سمرة.. فهو ما دام صرعه فهذا دليل على أنه يستطيع أن يحمل السلاح ويستطيع أن يقاتل .

٤- وأما سن الرواية وهو التحمل فيختلف باختلاف الأشخاص.

يقول موسى بن هارون أحد المحدثين: إذا فرق بين الدابة والحمار..والدابة هي الحمار!

وبعضهم قال: إذا ميز الخير من الشر.. وهذا أمر نسبي.

وقال بعضهم: بل في السابعة ونحو ذلك.

وقيل: في الخامسة ، أن الحسن حفظ حديث: ((دع ما يريبك إلى ما لا يربيك)) في الخامسة.

والصحيح انه إذا ميز وأصبح عاقلاً يدرك ماذا يقال له واصبح مستعداً للتعليم فإنه يقبل منه.

أما العنصر الخامس وهو الأخير فالأطفال الكبار.

فهم أطفال نعيش معهم في التاريخ، كبار في إيمانهم ، وكبار في مقاصدهم، وكبار في منهجهم وحياتهم.

يعيشون أطفالاً بأجسام الأطفال، لكنهم كبار في معتقداتهم وطموحاتهم ومقاصدهم.

١- ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وقد سبق معنا حرصه علي العلم والتعلم والاستفادة من حياة الرسول صلي الله عليه وسلم ، وهمته العالية التي جعلته ينظر للمستقبل ليتخيل نفسه قائداً وعالماً ومفسراً للأمة الإسلامية.. وقد تم له ذلك.

٢- أسامة بن زيد يقود الجيوش العظيمة وهو صغير السن، حيث كان في أفراد جيشه كبار الصحابة وفضلاؤهم ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى الخلفاء الراشدون.

فأي علو هذا؟ أن يكون هذا الفتي قائداً لأولئك الغر الميامين.

٣- ابن الزبير : أول مولود في المدينة صاحب الحنكة السياسية والدهاء.

وقصته مشهورة مع عمر رضي الله عنه عندما فر الأطفال وهو لم يفر شجاعة وصلابة أمام فاروق الإسلام، فلما سأله قال: لم أعمل جرماً فأخاف منك، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك !

فانظر إلى بلاغة الإجابة وحريتها وسموها.

٤- أبو محذورة من فتيان مكة، يخرج يرعي الغنم فيعود مؤذناً لأهل مكة ببركة دعاء النبي صلي الله عليه وسلم له.

٥- محمد بن القاسم يفتتح الهند والسند وهو فتي كما تعلمون، في جيش قوامه مائة ألف موحد وهو القائد آنذاك.

وهكذا غيرهم من فتيان هذه الأمة وأطفالها الذين كانوا صغاراً في السن لكنهم كانوا كباراً في العقل والفهم والهمة.

أسأل الله لي ولكم قره عين من أبنائنا، وان يجعلهم عبادا صالحين يخدمون هذا الدين الخالد في كل مكان.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أحكام المولود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ..

إنها لبشري سارة ولفتة عجيبة أن يتجه شباب الإسلام أو معظم شباب الإسلام اتجاهاً علمياً إلى الكتاب والسنة، ويحرصوا على ميراث محمد صلي الله عليه وسلم ، ويبدأوا تحصيلهم العلمي جازمين على العودة إلى الله سبحانه وتعالي.

وهي بشري تفرح المؤمن ، لنه لا رسالة إلا بعلم ، ولا علم إلا قال الله وقال رسوله صلي الله عليه وسلم . فالحمد لله الذي جعل من هؤلاء الشباب شباباً يحرصون على العلم النافع المبني على الكتاب وعلى السنة، وعلى تخريج الأحاديث ، وعلى مراجعة أصول الإسلام، وعلى تحقيق المسائل.

قال البخاري...عن سلمان بن عامر الضبي قال صلي الله عليه وسلم : ((مع الغلام عقيقة، فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى))، رواه مع البخاري الجماعة إلا مسلم.

وفي العقيقة مسائل أوردها لكم متتالية:

أولها: تعريف العقيقة.

ثانيها: حكمها.

ثالثها: ما معني إماطة الأذى؟

رابعها: ما معني كل غلام مرتهن بعقيقته؟

خامسها: ما معني تذبح عنه يوم سابعة؟

سادسها: ما معني متكافئتان.

ثامنها: قولها صلي الله عليه وسلم : ((لا احب العقوق لما ذكرت العقيقة ، بينما قال: ((كل غلام مرتهن بعقيقته))، فكيف نجمع بين اللفظين؟

تاسعها: قوله: ((ويطلخ بزعفران)) ، ما معني ذلك؟

العاشر: عقه صلي الله عليه وسلم عن الحسن والحسين.

الحادي عشر: التصدق بالفضة.

الثاني عشر: الأذان في أذن المولود يوم تلده أمه، وهل الإقامة سنة أم لا؟ وتحقيق الكلام في ذلك.

الثالث عشر: استحباب تحنيك المولود وبماذا يحنك؟ وما هو التجنيك؟

الرابع عشر: الأسماء المختارة والأسماء المنهي عنها.

الخامس عشر: هل يجزئ غير الضأن في العقيقة.

السادس عشر: هل يشترط في العقيقة ما يشترط في الأضحية؟

السابع عشر: متي تبح العقيقة؟ وهل تكسر عظامها؟

أقول مستعيناً بالله.

أما العقيقة: فهي مشتقة من العق، وهو القطع والشق.. يقال: عققت اللحم أي قطعتها، وعقت الثوب أي شققته، وعققت الحبل أي قطعته. فهي الشق والقطع، وهي الذبيحة التي تذبح للمولود.

ولا يصح أن تسمي تميمة بل عقيقة، تذبح في اليوم السابع. يقول أحد

شعراء العرب:

نفلق هـــاماً مـــــــن رجــــــال أعزة

علينا وهم كانوا أعق وأظلمــــــــــا

يقول: نقطع رؤوساً عزيزة علينا وأقارب ، لكنهم ظلمونا وجاروا علينا.

استشهد بهذا البيت كما في السير يزيد بن معاوية لما قتل الحسين بن على .

أما حكم العقيقة ففيها أقوال ثلاثة:

١-قال أبو حنيفة: إنها من أعمال الجاهلية ، وأنها ليست بسنة ولا واجب ولا يفعلها إلا جاهلي!

وهذا القول خطأ منه رحمه الله، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا محمد صلي الله عليه وسلم .

٢- وذهبت الظاهرية والليث والحسن البصري إلى أنها واجبة.

واستدلوا بقول الرسول صلي الله عليه وسلم : ((كل غلام مرتهن بعقيقته، فقالوا: ما دام أنه مرتهن فهي واجبة.

٣-وتوسط الجمهور فقالوا: هي سنة وليست بواجبة، لقوله صلي الله عليه وسلم في السنن بسند حسن: ((من شاء أن ينسك عن ولده فليفعل ، ومن شاء فليترك)).

أما ابن تيمية وابن القيم فقالا: هي مشروعة.. دون تحديد للحكم.

والأقرب أنها سنة، والأحسن للعبد أن يعق عن ابنه وأن يذبح ، فإن لم يفعل فلا يلزم ولا يحبس ولا يسجن، ولا يطاف به في العشائر والقبائل ويضرب بالجريد والنعال ويقال هذا جزاء من ترك العقيقة عن ابنه!!

لا .. فالأمر أيسر من ذلك.

ما معني إماطة الأذى؟ يقول صلي الله عليه وسلم : ((مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى))، الأذى هو: الشعر.

قال ابن سيرسن في سنن أبي داود: (إن لم يكن الأذى الشعر فلا أدري ما هو).

فمن السنة إذا ولد مولود أن تحلق شعر رأسه، وهو إماطة الأذى.

والشوكاني يعمم ويقول: الشعر وغير الشعر، فالأذى فيه عموم فينظف ويحلق شعره.

وهذه سنة الإسلام.. في سنن أبي داود عن قيس بن عاصم المنقري أنه لما أسلم أمره صلي الله عليه وسلم أن يختتن وأن يلقي عنه شعر الكفر.

قوله : ((كل غلام مرتهن بعقيقته))، ما معني مرتهن؟

لأهل العلم رأيان في قوله:((مرتهن بعقيقته)).

١- قال الإمام أحمد رحمه الله: ((مرتهن بعيقته))، أي أنه إذا مات وهو طفل لا يشفع في والديه حتى يعق عنه.. لأنه مرتهن أي ممنوع من الشفاعة.

فالطفل يشفع لوالديه إذا مات صغيراً.. ولذلك ندعو له في صلاة الجنازة بأن يشفع لوالديه.

٢- وقال بعض العلماء : أي أنه لا يسمي ولا يحلق إلا بعد ذبح العقيقة، فالتسمية والحلق رهينة بالذبيحة.

وهذا كأنه قريب ــ عن شاء الله ــ ولا باس بإدخال قول الإمام أحمد، فالكل ليس عنده دليل تأصيلي تفصيلي، فلا بأس ان يجمع بين هذا القول وقول الإمام أحمد.

متى يذبح عنه؟

السنة أن يذبح عنه في اليوم السابع لحديث أبي داود والترمذي والبيهقي ، وهو حديث صحيح أنها تذبح في اليوم السابع.

فإنه فاته ففي الرابع عشر.

فإن فاته ففي الحادي والعشرين، قاله الترمذي.

وتوقف الشوكاني وطالب الترمذي بالدليل .. لأن ديننا مبني على الدليل.

فنقول للشوكاني وغيره: قد روى البيقهي بسند يقبل التحسين: أنه إذا فات اليوم السابع فتذبح عنه في اليوم الرابع عشر..فإن فات ففي الحادي والعشرين.

فإنك فاتك فلا بأس أن تقضيها ، وإن كبر الابن فعند الطبراني أن الرسول صلي الله عليه وسلم عق عن نفسه بعدما كبر.

ولكن الحديث ضعيف.

وهنا مسائل :

١- هل يجوز أن يتبرع بالذبح عنه غير الوالد؟

الصواب أنه لا يشترط أن يكون الوالد.. لأنه قد يكون فقيراً أو معدماً أو محتاجاً، فتقبل من غيره.

٢- ومنها أنه لا بد أن يكون الذبح في اليوم السابع، أما بله فلم يرد بذلك نص ، ولو أن

بعض الفقهاء يقولون: يجوز قبل ذلك..لكن هذا مخالف للنص.

٣- ورد في بعض الألفاظ (ويدمي) بدلاً من (يسمي)،وهو غلط من أحد الرواة. ولكن قال قتادة: يدمي أي يؤخذ من دم الذبيحة بصوفة ويجعل على بطنه ثم رأسه.

وقال بهذا أيضاً ابن عمر وعطاء والحسن.

لكن الصحيح أن هذا خطأ ووهم من (همام) في هذه الرواية، لقوله صلي الله عليه وسلم عند ابن ماجه من حديث يزيد بن عبد الله المزني: ((يعق عن الغلام ولا يمس رأسه بدم))، وهذا نص.

قالوا لنا: الحديث مرسل.. وصدقوا.

عبد الله بن يزيد بن عبد الله المزني تابعي وأبوه عبد الله المزني صحابي فهو لم يرو عن أبيه فانقطع السند.

لكن الأقرب أيها الأبرار أنه لا يدمي لأن التدمية من أفعال الجاهلية، فقد ورد في السنن أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك، فلما أتي الإسلام منع من ذلك.

وقال صلي الله عليه وسلم ــ كما عند ابن حبان ــ : ((واجعلوا مكان الدم خلوقاً)) وفي رواية حسنة: ((زعفران))، أو ما يقوم مكانه من الأطياب.

أما المسألة السادسة: فمعني التسمية.. عند ابن أبي شيبة في المصنف قال: يسمي في اليوم السابع على معنيين:

١- إما أن يسمي في اليوم السابع وهو الصحيح.

٢- وقيل يسمي على الذبيحة، أي يقول على عقيقته (بسم الله).

وأما المسألة السابعة : فقوله: (شاتان متكافئتان) كما في السنن.

معناها أنهما متقاربان في السنن.. فلا تكون هذه كبيرة والأخرى صغيرة.

وقيل: متكافئتان في النوع: فلا تكون هذه ماعز وهذه ضأن، أو هذه ضأن عراقية وهذه نجدية.

ولكن هذا تكلف، والصواب أن تكونا متقاربتين في السن،

ولا بأس أن تكون تيساً وكبشاً يعني من الضأن، ولا بأس أن تكونا أنثيين ، ولكن الذكرين أحسن.

وقال مالك بن أنس رحمه الله: شاة عن الذكر وشاة عن الأنثى ، واستدل بحديث بريدة: ((كنا نذبح شاة عن الذكر)).

قلنا : الحديث فيه كلام.

قال: وعن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه قال: عق رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الحسن والحسين شاة شاة.

قلنا: لا ، بل ورد أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال: **((** عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة**))**.

فيقال لك:

١- إما أن تكون زيادة الشاة زيادة ثقة فتقبل .

٢- أو أن نقول: القول مقدم على الفعل .. فالرسول صلي الله عليه وسلم عق عن الحسن شاة وعن الحسين شاة ولكنه قال للناس: **((** عن الغلام شاتان**))**.

فالقول عند أهل الأصول يقدم على الفعل.

المسألة الثامنة: يقول صلي الله عليه وسلم في حديث رواه أحمد وأبو داود والنسائي وسنده صحيح لما قالوا له: يا رسول الله كيف العقيقة؟

قال: **((** لا أحب العقوق**))**.

قال الرواي: كأنه كره الاسم صلي الله عليه وسلم .

فالرسول كره العقوق .. لكنه صلي الله عليه وسلم قال كما تقدم في الصحيح: **((** لكل غلام مرتهن بعقيقته**))**، و**((** مع الغلام عقيقة**))**.

والجمع أن يقال: أن الرسول صلي الله عليه وسلم كره الاسم.

وأما قوله لذلك فهو دليل على الجواز، والجواز لا يمنع من الكراهة. هذه قاعدة اصوليةن فربما يكون الأمر مكروهاً لكنه جائز أحياناً.

فالأفضل ألا نقول عقيقة لأن الرسول صلي الله عليه وسلم لما قال : **((** مع الغلام عقيقة**))** خاطبهم بلغتهم التي يفهمونها .. ولما قال : **((** أكره العقوق**))** أراد أن يترفع عن هذه الألفاظ.

المسألة التاسعة: قوله: **((** ونلطخه بزعفران**))**.

والزعفران نبت معروف يسحق ويوضع معه خلوق ويوضع على الرأس .

قال أهل العلم: فيه الدليل على استحباب تلطيخ رأس المولود بالزعفران أو غيره من الخلوق الذي يشابهه ، كالمر والحناء أو الكتم أو ما يشابهه.

المسألة العاشرة: عقه صلي الله عليه وسلم عن الحسن والحسين.. فيه دليل على نه يجوز أن يعق غير الأب عن المولود ... وقد سبق هذا.

وفيه أنه إذا مات الوالد فعلى المتكلفين بالنفقة أن يعقوا عنه.

المسالة الحادية عشر: التصدق بالفضة. ورد أنه يتصدق بوزن شعره ورقاً: أي فضة.

فيقدر ببعض الريالات أو ببعض المال ويتصدق به.

وهل يجزئ الذهب مكان الفضة؟

قال أهل العلم: نعم، فقد روى الطبراني في الأوسط بسند فيه رواد بن الجراح وهو ضعيف: ((أن رسول الله صلي الله عليه وسلم أمر بست.. منها أن يتصدق عن المولود بذهب)).

ولكن الصحيح أنه يتصدق بفضة لأن هذه الرواية ضعيفة.

لكن إذا تصدقت بذهب أو بفضة أو بشيء من الدراهم فالأمر سهل.

المسألة الثانية عشر: الأذان في أذن المولود، فقد ورد عنه صلي الله عليه وسلم في سنن أبي داود : ((أنه أذن في أذن الحسن)).

والحكمة أن ينشأ الطفل على (لا إله إلا الله) وهو صغير، ويكون أول ما يطرق أذنه(لا إله إلا الله).

أما الإقامة فلم ترد إلا من فعل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فأنت تؤذن فقط، أما الإقامة فلا.

المسألة الثالثة عشر: استحباب تحنيك المولود: فمن السنة إذا ولد لك مولود أن تأخذ شيئاً من تمر أو عسل أو شيئاً حالياً كالسكر وتضعه في فم الطفل.

أتي صلي الله عليه وسلم بعبد الله بن أبي طلحة لما ولد فأخذه صلي الله عليه وسلم ومضغ تمرة بريقه الطاهر صلي الله عليه وسلم ثم وضعها في فمه فأخذ الطفل يتلمظ التمر.

فقال صلي الله عليه وسلم وهو يتبسم : ((انظروا لحب الأنصار للتمر))!!.

المسألة الرابعة عشر: الأسماء المختارة.

من السنة أن تسمي ابنك في يوم السابع وتختار الاسم الإسلامي اللطيف، لا أسماء الخواجات أعداء الرسل وأعداء الكتب وأعداء الرسالات.

فمن الأسماء المختارة (عبد الله) و (عبد الرحمن) ، لأنهما اسمان حبيبان إلى الله، صح بهذا الحديث.

بشرط أن يكون اسم الله وارداً في الكتاب والسنة وليس مخترعاً من عندك! فلا تأتي بأسماء وتركبها وتقول (عبد اليقظان) (عبد الموجود) (عبد الساهر) ، فهذا لم يرد.

وقد نهي صلي الله عليه وسلم عن بعض الأسماء : فقد نهي صلي الله عليه وسلم في سنن أبي داود عن اسم يسار ورباح ونجيح وأفلح، لأنه يتشاءم بها، فإذا قلت لأهلك: أيسار في البيت؟

قالوا: ليس فيه يسار .

فكأنك ستشاءم ، وهكذا ألفح ونجيح ورباح.

ومنها أسماء للبنات مكروهة مثل ختنة وعاصية وغاوية ومتخلفة وبليدة وغبية!

والإنسان يتأثر باسمه وصفته ولقبه..فعلى الإنسان أن يحرص على الاسم الإسلامي القوي..ولا يتشاءم ، أي لا يختار اسماً يتشاءم به.
وفي الموطأ للإمام مالك أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال لرجل: ((قم احلب الناقة، ما اسمك؟)).
قال: حرب .
فقال له: ((اجلس)).
فقال للثاني: ((ما اسمك))؟
قال : مرة.
فقال للثالث: ((ما اسمك))؟
قال: صخر.
فقال للرابع: ((ما اسمك))؟
قال: يعيش.
فقال له: ((احلب الناقة)) فحلبها.
فالرسول صلي الله عليه وسلم كان يعجبه الفأل.
المسألة الخامسة عشر: هل يجزىء غير الغنم في العقيقة كالبقر والإبل؟
والجمهور على إجزاء البقر والإبل ، لما روى الطبراني عن أنس قال: ((يعق عنه من الإبل والبقر والغنم)).
وقال الإمام أحمد: من عق عن ابنه بدنة يعني ناقة فليجعلها كاملة.
فالصحيح أنه يجوز أن يعق بالإبل والبقر عن المولود ، فلك أن تعق ببدنة عن ابنك، وتكفيك عن شاتين ، والأحسن شاتان.
ولا يشترك فيها ــ أي البدنة ــ سبعة ولا عشرة ، لأن تلك في الأضحية وهذه في العقيقة، فلا يشترك في العقيقة سبعة ولا عشرة.
المسألة السادسة عشر: هل يشترط في العقيقة ما يشترط في الأضحية؟
أي: أن لا تكون عوراء ولا هتماء أو عرجاء ولا شرقاء، إلى غير تلك الأوصاف التي وردت في حديث علي.
الصحيح أنه لا يشترط، لأن العقيقة غير الضحية.. فالأضحية قد خصص الرسول صلي الله عليه وسلم القول فيها.
ومن قال بذلك لزمه أن يقول أن كل ولائم السنة يشترط فيها ذلك، كولائم الزواج، لأن بعضهم أوجب وليمة الزواج.

المسألة السابعة عشر: وقت ذبح العقيقة:

لأهل العلم أقوال:

١- قالوا: تذبح بعد الفجر.
٢- وقيل : من طلوع الشمس أو من وقت الضحي.
٣- وقيل غير ذلك.
٤- وقيل: تجزىء من الليل.

والصحيح أنه ليس لها وقت محدد، أعني في ساعات اليوم..

وإلا فإنها كما سبق تذبح في اليوم السابع.

وينبغي أن تجعل العقيقة جدولاً. أي: أن تقسم الأعضاء من المفاصل.. ولا يكسر العظم تفاؤلاً ألا يكسر عظم هذا المولود.

والحديث في ذلك من مراسيل أبي داود عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين ((ولا تكسروا منها عظماً)). وهذا المرسل قد سكت عنه ابن القيم.. وهو مما يستأنس به.

والأفضل أن يفعل بلحمها بعد الطبخ ما هو الأنفع.. فإذا كان جيرانك فقراء ومحتاجين للحم.
. فأعطهم منها.
وإن دعوت ضيوفاً عليها فلا حرج.

فأنت مخير بين التصدق بها أو دعوة الضيوف عليها.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حقوق الأبناء

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

واشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

حديثي في هذه الأوراق عن الآباء ومسؤولياتهم.. ويا لها والله من مسؤولية عظيمة ألقاها الله عز وجل على عواتقهم من فوق سبع سماوات ، يوم يقول سبحانه لرائد البيت المسلم(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم:٦).

فجيلنا الصالح ابتداء من موكب الأنبياء الكريم يحملون التبعة على أنفسهم، فيقومون بتربية النشء والجيل تربية يريدها الله ويحبها الله.

والله عز وجل قص لنا في محكم كتابه الكريم قصصاً عن الأنبياء والصالحين في ذلك.

أما يقول الله عز وجل عن يعقوب عليه السلام يوم يتلطف مع يوسف ويأخذه بالرفق واللين:)يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً...)(يوسف: الآية٥).

أما يقول لقمان وهو يربي ابنه التربية التي يرضاها الله ويريدها الله:)وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ)(لقمان: الآية١٣) ، فقد غرس الإيمان والتوحيد في قلب الطفل لينشأ عابداً لله عز وجل.

وأول ما يسقط الطفل على الأرض فهو يسقط مسلماً حنيفاً، يقول صلي الله عليه وسلم : ((ما من مولود يولد إلا يولد علي الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) أو كما قال صلي الله عليه وسلم .

ولـــــدتك أمـــــك باكيـــــاً مستصرخاً
والناس حولـــــك يضحكـــــون سرورا
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكـــــــوا
في يوم مـــــــوتك ضاحكـــــاً مسرورا

يوم يقع الطفل على الأرض يكون المسؤول الأول عنه هو : الأب ، فواجبه أن يقوده إلى بر السلام وإلى طريق الجنة.

فلقمان عليه السلام يقول لابنه:) يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّه)(لقمان: الآية١٣) ، احذر أن تكون مشركاً.. احذر أن تجعل لله نداً.. احذر أن تعتقد أن هناك مع الله شريكاً.

ثم قال (ه:)يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ)(لقمان: الآية١٧) ، هل سمعت أسلوباً أعجب من هذا؟ هل سمعت جودة أعظم من هذه الجودة؟ (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ)(لقمان: الآية١٧)ثم قال: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ)(لقمان: الآية١٧).فعلم أنه بعد أن يقيم الصلاة وبعد أن يأمر وينهي.. سيواجه شيئاً من المتاعب والمصاعب.. فقال له: (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ)(لقمان: الآية١٧) .

ثم قال له: (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (لقمان:١٨)، أي لا تتكبر على عباد الله ولا تزه ولا تكن تياهاً معجباً بنفسك، فأنت عبد للواحد الأحد.

ثم قال عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان:١٩) فكن أديباً موجهاً.. كن متواضعاً .. سهلاً ليناً.

والرسول صلي الله عليه وسلم اعتني بتربية الأبناء.. بل هو المربي الأعظم صلي الله عليه وسلم ، بل هو الذي نشر الفضيلة في الجيل.. بل هو الذي أنقذ الله به أهل الضلالة من ضلالتهم وأهل العماية من عمايتهم.

إن البرية يوم مـــبعث أحمــــد
نظر الإله لها فبدل حالهـــــــا

بل كرم الإنسان حين اختـــــار من
خير البرية نجمــــــــها وهلالها

ورد عنه النبي صلي الله عليه وسلم في حديث حسن أنه قال لأنس بن مالك رضي الله عنه: ((يا بني إن استطعت أن تنام وليس في قلبك غش لأحد فأفعل)).

وفي سنن الترمذي بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما وأرضاهما قال: كنت ردف رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لي: ((يا غلام)).

قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله.

قلت : ((يا غلام)).

قلت: ((لبيك وسعديك يا رسول الله.

قال: ((يا غلام)).

قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله.

قال: ((أني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، تعف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على ان يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك..
رفعت الأقلام وجفت الصحف)).

إي والله! احفظ الله يحفظك..فهل أوصى الآباء أبناءهم بهذه الكلمة؟

وهل قال الأب لابنه يوم يودعه في الصباح إلى عمله أو إلى مدرسته أو إلى مزرعته: ((احفظ الله يحفظك)).

يقول أحد علماء الأندلس وهو يوصي ابنه:

وإذا خلوت بريبة في ظـــــــلمــــــة
والنفس داعـــــــية إلـــــــى الطـــــغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لـــــــــها
إن الذي خـــــلق الظـــــلام يـــــــرانـــــي

نعم! إنه غرس الرقابة والخشية في قلوب الأبناء لينشأوا والخوف يملك جوانحهم من الواحد الأحد، هذه تربية الإيمان التي أرادها الله.

ويقول الأندلسي الآخر وهو يوصي ابنه:

أبا بكـــــر دعــــــوتك لو أجبـــــت
إلـــــى ما فيه حـــظك لـــو عقـــــلت
إلـــى عـــلم تـــكون بــه إمامــــاً
إن نهـــيـــت وإن أمـــــــــــــرت
ويجلـــو ما بقلبـــك من عمـــــاها
ويهديـــــك السبيـــــــل إذا ضــــــللت

ويقول جعفر الصادق ــ رضي الله عنه وارضاه ــ وهو يوصى ابنه:

يا بني لا تصاحب فاجراً ولا عاقاً ولا بخيلاً ولا كذاباًن فإن الفاجر قد استحق لعنة الله.. وإن العاق قد أدركته ظلامه أبيه وأمه.. وإن البخيل يبيعك أحوج ما تكون إليه.. وإن الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب.

وحبيب بن زيد تربيه أمه تربية صادقة خالصة لوجه الله.. فينشأ مجاهداً ..ويرسله صلي الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب الدجال في اليمامة فيدخل على مسيلمة وعمره ما يقارب العشرين.

فقال له مسيلمة: أتشهد أن محمداً رسول الله؟

قال: نعم.

قال: أتتشهد أني رسول الله؟

قال: لا اسمع شيئاً.

فأخذه وقطعه إرباً إرباً، وهو لا يعود عن دينه.

من ذا الــــذي رفع السيوف ليرفــــــع
اسمك فوق هامات النجوم منـــــارا
كنا جبالاً في الحبــــــال وربـــــــما
صرنــــا على موج البحار بحارا
أرواحنا يا رب فـــوق أكـــفنــــــا
نرجو ثوابك مغنمــــــاً وجوارا

الخنساء رضي الله عنها وأرضاها وهي النخاعية تحضر بأبنائها معركة القادسية وهم أربعة، ربتهم على الاستقامة والصلاة وعلى الذكر.. فلما حضرت المعركة قالت لهم: يا أبنائي أنا أمكم.. والله ما خنت أباكم، والله ما خدعت خالكم، فإذا حضرت المعركة فيمموا أوجهها واقبلوا على أبطالها، وقاتلوا رجالها عسي الله أن يقر عيني بشهادتكم.

وبدأت المعركة وقتل الأربعة في أول النهار، وجاء بعض المسلمين يخبرها بذلك.. فتبسمت وفرحت كثيراً.ز وقالت: الحمد لله الذي أسعدني بشهادتهم في سبيله!

الأم مدرســــــة إذا أعـــــــــددتــــــــها
أعــــــددت شعباً طيب الأعراق

الأم روض إن تعاهــــــــــــده الحيا
بالــــــري أورق أيــــما إيــــــراق

وأسماء بنت أبي يكر رضي الله عنها وأرضاها ذات النطاقين اللذين جعلهما الله عز وجل ساماً لها في الجنة.. تقول لابنها عبد الله بن الزبير الفارس المصلوب الذي صلب في الحجون.

تقول له وقد أتي يستسلم خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي يا بني أصبر فإنك على الحق.

قال: يا أماه إني أخاف إذا ذبحوني أن يسلخوني ويقطعوا جسمي.

قالت: يا بني لا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها.

فثبت على الحق ولبس أكفانه ومات شهيداً رضي الله عنه وأرضاه.

- **حق الأبناء على الآباء:**

١- اختيار الزوجة الصالحة.

فما هي مواصفات الزوجة الصالحة؟

يقول صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((تنكح المرأة لأربعك لمالها ولجمالها واحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك)). فالدين هو أهم شيء في المرأة .. فيجعل الدين هو الأصل وما بقي تبع.

ونحن نؤمن أن الجمال مطلوب، وأن الحسب مرغوب، وكذا المال، كل هذا كما قلت لكم يأتي تبعاً للدين.. لأنه يوم أسيء الاختيار في بعض الأماكن نشأ الجيل معوجاً لا يعرف الله ولا الدار الآخرة.. لأنه تبع لتربية أمه.

فأول مسؤولية الآباء اختيار الزوجة الصالحة التي تريد الله والدار الآخرة.. ولا عبرة والله بالمرأة التي لا تريد الله، ولا تعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم . أما أزري الله عز وجل على امرأة نوح؟ أما عاتب ولام وندد بامرأة لوط؟ ولكنه سبحانه وتعالي مدح امرأة فرعون في بيت فرعون وهو ملحد .. لأن السبب هو الإيمان والتقوى.

حكمة الاتصال: يقول سبحانه وتعالي:)وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً)(الرعد: الآية٣٨) إن اتصال الرجل بالمرأة في الإسلام أمر شريف وليس كما ادعاه أعداء البشرية من أنه لأجل الشهوة الجامحة، بل الحكمة هي إعمار الأرض بوجود الذرية الذين يحملون الرسالة ويحملون الهداية للناس، وإخراج جيل عظيم من الزهاد والعباد والقادة.

فأين ذهبت تلك الحكمة عن تلك العقول والأدمغة التي ما عرفت الطريق إلى الله؟

ولذلك قال البخاري في الصحيح وهي: أن يبدأ الأب بالبذل والعطاء وبإعلان الفرحة وشكر الله على هذه النعمة.

فالأبناء نعمة من الله .. وأي نعمة.

وقد دعا أحد الأنبياء ربه يقول: (رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ)(الانبياء: الآية٨٩).

وكل مولود مرتهن بعقيقته حتى يعق عنه.

وكذلك من السنة أن يحلق رأسه وان يتصدق بوزنه فضة أو ما يعادلها من المال، وهذا أمر ثبت عنه صلي الله عليه وسلم ، ذكره ابن القيم في كتاب (تحفة المودود بأحكام المولود) ومعني ذلك أنه تفاؤل بأن الله يحط أخري قد لا تظهر لنا.

٢- ومن حقوق الأبناء على الآباء: اختيار الاسم الطيب.. وفي الحديث الصحيح: ((أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن)).

أما الحديث الذي يقول : ((أحب الأسماء إلى الله ما عبد وحمد)) فهاذ لا يصح..ولكن كل اسم فيه لفظ العبودية طيب وحبيب إلى القلوب، لماذا؟

لأن ابنك يوم يتردد على سمعه هذا الاسم (عبد الرحمن) (عبد الوهاب) (عبد السلام) .. يتذكر الصلة بينه وبين الله الذي شرفه بالعبودية.

ونهي صلي الله عليه وسلم أن يسمي ببعض الأسماء .. فقد جاءه رجل فقال صلي الله عليه وسلم : ((ما اسمك؟)).

قال: غاوي ابن ظالم.

قال صلي الله عليه وسلم : ((بل أنت راشد بن مقسط))ــ فغيره صلي الله عليه وسلم تفاؤلا بأن يكون راشدا مقسطاً.

ويقول صلي الله عليه وسلم : ((أحسنوا أسماءكم وأسماء ابنائكم فإنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء أبائكم)).

وفي موطأ الإمام مالك أنه صلي الله عليه وسلم قال لرجل: ((قم احلب الناقة، ما اسمك))؟

قال: صخر

قال: ((اجلس)).

فقال للرجل الثاني: ((ما سمك))؟

قال: حرب

قال: ((اجلس)).

فقال للثالث: ((ما اسمك))؟

قال: مرة.

قال: ((اجلس)).

فقال للرابع: ((ما اسمك))؟

قال: يعيش

قال : ((قم فاحلب الناقة)).

إنه التفاؤل في الأسماء الطيبة التي تورث الحب وحسن الطالع.

٣- ومن حقوق الأبناء على الآباء: الرضاعة الحقة التي يريدها الإسلام، وكثيراً ما أخفق المجتمع الذي نعيش فيه في الرضاعة، إما بأن يسند الطفل إلى غير أمه فلا يكون له علاقة بأمه ولو كانت قادرة على الرضاعة، فينشأ الطفل مبتور الحنان والصلة مع أمه والعطف، فلا تجده ذاك الطفل الذي ينشأ على العطف والأنس بقرب أمه.

فتجد بعض البيوت يفرط في هذا الجانب، فيقدم كثيراً من المرضعات أو الكثير من الوسائل للرضاعة.. ويترك الأم ولو كانت قادرة.. وهذا خطأ ظهرت آثاره في التربية.. فنشأ الأطفال على العقوق والجفاء والقطيعة مع الأمهات.

لأن لبنها ما سري في شرايينه وعروقه.

والله عز وجل ذكر الرضاعة في القرآن فقال: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)(البقرة:

الآية٢٣٣)، وكلما أتم الرضاعة كان أحسن.. وأجود.. ومكن.

واختيار المرضعة إذا اضطررت.. هو من حقوق الأبناء على الآباء ، فلا ترضعه كافرة ولا فاجرة ولا حمقاء ولا سيئة التصرف..فإن لبنها سوف يكون له أثر في عقله وتوجهه.

ولذلك وضع صلي الله عليه وسلم في بادية بني سعد حيث الصفاء والنقاء وحيث الهواء والماء والصحراء.. فتشأ أفصح من فصحاء العرب.. ونشأ أخطب الدنيا.

فالبادية في الجيل الأول لها أثر عظيم في تربية الأولاد.. أما الآن.. فالله المستعان!.

تقول عائشة: ربما رأيت الرسول صلي الله عليه وسلم إذا تهللت أسارير وجهه وأتاه خبر يسره كأنه البدر ليلة أربع عشر وتذكرت قول الشاعر:

وإذا نظـــــــرت إلى أســــــرة وجهه

برقت كبرق العارض المـــــنـــــهلل

والسبب هو جودة الرضاعة.. فكان وجهه يبرق مع ما آتاه الله من القوة والحكمة والجمال.. حتى قيل لأبي هريرة : أكان وجهه صلي الله عليه وسلم كالسيف؟

قال: لا والله.. كالشمس.

وقال أنس: والذي نفسي بيده نظرت لوجه المصطفي صلي الله عليه وسلم ونظرت إلى البدر ليلة أربعة عشر، ولوجه المصطفي صلي الله عليه وسلم أجمل من البدر.

وقد حذر أهل العلم من استرضاع الحمقي لكي لا يأتي الطفل أحمقاً!!

ذكر ابن كثير في ترجمة القاضي شريح وكان من أذكياء الدنيا، أن ثلاث نسوة دخلن عليه فنظر إليهن وقال:

أما هذه المرأة فثيب.

وأما هذه المرأة فحامل بولد.

وأما هذه المرأة فأرضعتها كلبة!!

قيل لشريح: كيف عرفت ذلك؟

فقال: أما المرأة الحامل فعرفتها لأن صوتها ضعيف.

وأما الثيب: فلأنها تنظر للرجال.

وأما الثالثة: فأرضعتها كلبة لأن في يديها رجفة.

فسئلت النسوة فكن كما قال.

٤- ومن الحقوق التي للأبناء على الآباء: القدوة: بأن يكونوا قدوة لأبنائهم، لأن الطفل يقلد أباه دائماً.. فالذكر يقلد الأب والبنت تقلد الأم.

وينشأ ناشــــيء الفـــــتيـــان مـــنـــا

علــــى مــــا كان عوده أبوه

كيف يقول له: كن صادقاً..ثم يكذب!!

فالفعل فعل قبيح..والقول قول جميل..)أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) (البقرة:٤٤).

تقول للابن : صل في المسجد، ولكن لا يرانا نصلي.

إنه ظلم للعقل، وظلم للعلم، وظلم للتربية، وظلم للإحساس.

نقول للابن : لا تغتب أحداً.. اتق الله في أعراض المسلمين...

ثم نقع في أعراض الناس بسكاكين من القول الجارح.

يا أيها الأبرار ويا أيها الأخيار..إن القدوة أمرها عظيم؛ لأنك ستسأل عن أبنائك يوم القيامة.

هل أمرتهم؟

هل نهيتهم؟

هل نفذت ما نقول؟

أم أنه كلام دون فعل.

يقول أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه كما في الترمذي : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)(المائدة: الآية١٠٥) وأني سمعت الرسول صلي الله عليه وسلم يقول: ((إن الناس إذا رأوا المنكر ثم لم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب)).

فلا يصح أن نصلح في أنفسنا.. وأبناؤنا غير صالحين.

نقرأ ونتهجد بالقرآن.. وأبناؤنا في المقاهي والملاهي.

نقرأ كتب العلم الراشدة.. وأبناؤنا مع المجلة الخليعة ومع القول السخيف.

٥-ومن حقوق الأبناء على آبائهم: أمرهم بالصلاة في السابعة ، وضربهم عليها في العاشرة، والتفرقة بينهم في المضاجع.

يوم يبلغ الطفل السابعة تأمره أمراً فحسب بالصلاة ولا تضربه..تقول له: صل، هداك الله، تأخذه بيده وتعلمه طريق المسجد.

فإذا بلغ العاشرة تأخذه بالحزم، فإذا رفض.. تضربه ضرب ناصح وضرب رشيد يريد له الخير مثل ما يريد لنفسه.

ويا لحكمة هذا الدين! ويا لقوته ! ويا لشموله! ويا لعدله! فهو يلاحق الأطفال والنشء والجيل حتى وهم في المضاجع .. فيقول: حرام أن يتضاجعوا في مكان واحد. ففرقوا بينهم في المضاجع.. فالذكر لا ينام في فراش الأنثى ، ولا الأنثى في فراش الذكر.

ولا بأس أن يناموا في غرفة واحدة بشرط أن يفرق بينهم في المضاجع.

٦-ومن حقوق الأبناء على آبائهم: تعليمهم العلم النافع..علم قال الله وقال رسوله صلي الله عليه وسلم .

العلم الذي أتي من فوق سبع سماوات .. وليس العلم الرخيص.. وليس العلم السخيف الدخيل الذي أتانا من أعداء البشرية وأعداء الإنسان.

لكن العلم الموروث عن معلم الخير صلي الله عليه وسلم .

وتعليم الجيل من أعظم الخصال الواجبة في الإسلام، فالإسلام لا يعترف بالجهل ولا بالدروشة.

وأما أن نحرم أبناءنا من العلم بحجة أنه أمر مضن..وطريقة طويل وشاق، فهذا من سوء الإرادة وضياع الحكمة.

نعم... إذا حصل الشاب أو البنت على حصيلة من العلم تقيم دينه وتحجزه عن المناهي.. فلا بأس بعد ذلك أن ينطلق في عالم الحياة.. وأن يخوض جميع المجالات المباحة التي يرغبها.. كالتجارة والزراعة وغيرها.

فواجب إذن.. تعليمه العلم النافع.. وغرس الفضيلة في قلبه.

ولذلك كان صلي الله عليه وسلم يحرص على هذا .. فابن عباس رضي الله عنهما شاب في العاشرة من عمره يدخل على المصطفي صلي الله عليه وسلم ليلة من الليالي بعد صلاة العشاء ، فيقوم صلي الله عليه وسلم ليصلي في الليل فيقوم معه ابن عباس.

ويحضر ابن عباس ماء للرسول صلي الله عليه وسلم ليتوضأ به.

فيقول صلي الله عليه وسلم : ((اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)).

فكانت دعوة من أعظم الدعوات المباركة في حياة ابن عباس.

لم يدع له بالتمكين في الأرض ولا بالصحة في الجسم.. ولا غير ذلك.

وإنما دعا له بأن يجعله الله فقيهاً معلماً مفهماً.. وأن يعلمه الله تأويل كتابه.

ولذلك يقول صلي الله عليه وسلم في الصحيحين من حديث معاوية: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)).

فالله الله بالعلم النافع لأبنائكم.. فليس كل علم يكون نافعاً.

وقد قسم الله العلم في القرآن إلى قسمين:
١- العلم النافع.
٢- العلم الضار.
من العلم الضار قوله تعالي عن السحرة: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)(البقرة: الآية١٠٢).

ويقول الله عن أحد الذين تعلموا العلم.. ولكنه لم ينفعهم ، وهو (باعورا) اليهودي الحبر:)وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (لأعراف:١٧٥/١٧٦).

والله يقول في بني إسرائيل ــ وقد حملوا علماً، ولكن لم يستفيدوا منه ولم يكن له أثر في معتقدهم وفي عبادتهم وفي سلوكهم ــ :)مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً)(الجمعة: الآية٥).

وقال سبحانه وتعالي فيهم:)فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (المائدة:١٣)
فالعلم النافع هو الذي يورث الخشية من الله في القلب.

العلم النافع هو الذي ينشيء الطفل على حب المسجد وحب القرآن والعلم.

وهو الذي يجعل الشاب عابداً لله.. يتقي الله.. ويخافه،) إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)(فاطر: الآية٢٨) .

وكان صلي الله عليه وسلم يقول: ((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)).

ولذلك كان صلي الله عليه وسلم يربي الناس على العلم النافع الذي يريده الله سبحانه وتعالي.

٦- **من حقوق الأبناء على الآباء:** مصاحبته وغرس الفضيلة والثقة بنفسه..فلا يكون مسلوب الإرادة.. ولا مسلوب الهمة والمكانة.
٦-

والكثير من الآباء يخطئون في هذا الجانب فيربون الابن بالسوط والقسوة والعنف، فينشأ الابن وقد سلبت إرادته وقوته ومكانته.

وينشأ مهزوز الإرادة.. لا كلمة له..ولا حق.. ولا رأي.

وهذا العنف لا يورث إلا عنفاً مثله..بلا شك.

ولذلك وصف الله عز وجل رسول الله صلي الله عليه وسلم بالحكمة وبالين..فقال له:)فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)(آل عمران: الآية١٥٩) .

وقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤).

ولما فشت هذه التربية العنيفة في كثير من البيوت أصبح الأبناء على قسمين:

إما عاق لأبيه ومشاـله ومكابر.

وإما أن ينشأ الطفل ذليلاً مخبتاً لا مكانة له.. ولا شجاعة.. ولا إرادة.

وهذا خطأ وقع فيه كثير من الآباء.

في الطبراني أن رجلاً أتي إلى الرسول صلي الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله ابني ربيته فسهرت لينام، وظمئت ليروي، وجعت ليشبع، فلما كبر غمطنى حقي!

فقال صلي الله عليه وسلم : ((هل قلت في ذلك شعراً))؟

فأخذ الرجل يبكي ويقول: نعم يا رسول الله، قلت:

غذوتـــك مـــــولـــــوداً وعلــــتك يــــافعــــــاً
تعـــــل بمـــــــا أجــــري عليــــــك وتنهل
إذا ليلــــة بالسقــــم ضاقـــــــــتك لم أبت
لسقـــــــمك إلا شـــــاكيــــــاً أتمــــــلمل

كــــأني أنا الملـــــــدوغ دونك بالــــــذي
لـــــدغت به دوني فعينـــــــاي تـــــــهمـــــل
فلمــــا بلـــــــــغت السن والغاية التي
إليهـــــا ما كــــان فيــــك كنت أؤمــــــــــل
جعلـــــــت جزائـــــــي غلظة وفظاظة
كأنك أنت المنـــــــــعــــــــم
المـــــــتفضـــــــل

أو كان هذا الأب عاقاً لوالديه.. فكان الجزاء من جنس العمل!

٧- **ومن حقوق الأبناء على الآباء:** إبعادهم عن رفقة السوء وأهل الفساد.

يقول الله عز وجل عن الرفقة الصالحة: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (الزخرف:٦٧) .فكل خلة.. وكل صحبة..وكل صلة.. وكل صداقة تتقطع وتتلاشى وتنهار إلا صلة الذين يريدون الله والدار الآخرة.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (والله لو صمت النهار لا أفطره، ولو قمت الليل لا أنامه.. وأنفقت أموالي في سبيل الله، ثم لقيت الله لا أحب أهل الطاعة ولا أبغض أهل المعصية، لخشيت أن يكويني الله علي وجهي في النار).

ولذلك يقول الشافعي وهو يتحدث عن نفسه بتواضع:

أحب الصــــالحـــين ولست منــــــــهـــــم
لعــــــلــــي أن أنــــال بــــهـــم شــــفاعة

ولكن والله هو منهم!
فيرد عليه الإمام أحمد ويقول:

تحـــب الصــــالحيــــن وأنت منهم
ومنــــــــكم قد تنـــــاولــــنا الشفاعــــة

لأنه قرشي هاشمي.

وفي الحديث الذي رواه البخاري: ((المرء يحشر مع من أحب)).

فإن أحببت الصالحين وعملت بعملهم حشرت معهم، والع-صحيح.

يقول الشافعي مواصلاً حديثه:

وأكره من تجــــارتـــــه المعـــــــاصي

ولو كــــــنـــــا سواء في البضـــــــاعة!

يقول: ولو كنت عاصياً ولكني أكره العصاة.. ولا أصاحبهم.

وقال الآخر:

عن المرء لا تســــأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقــــــارن يفتــــــدي

فكيف يكون الإنسان صالحاً وهو رفقه السوء؟

يقول أهل العلم: هل كان أفسد على أبي طالب من صحبة السوء؟!

أراده صلي الله عليه وسلم أن يقول: (لا إله إلا الله) فقال: ((يا عمي قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله))، متفق عليه.

فأراد أن يتلفظ بها.. لينجو من العذاب ويدخل في رحمة الواحد القهار.

فقال له أبو جهل: كيف ترغب عن ملة آبائك وأجدادك !

فأتي هذا الجليس السيء فأراده في نار تلظى..فمات مشركاً كافراً بمغبة رفقاء السوء.

ورفقاء السوء قد انتشروا كثيراً.. وهم أعدي من الجرب.

فالجرب عند أهل العقول يعدي الصحيح، وما سمعنا أن الصحيح يعدي الجرب!

فالواجب على الآباء أن يجنبوا أبناءهم رفقاء السوء.

٨- **ومن الحقوق الواجبة علي الآباء لأبنائهم:** القضاء على أوقات الفراغ التي يعيشونها.

يقول سبحانه : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) (المؤمنون:١١٥/١١٦) .

كثير من الأبناء يشكون من الفراغ.. فتجد أحدهم في العطل الصيفية يقول: عندي فراغ كبير.

سبحان الله! مسلم وعندك فراغ؟

طالب علم وعندك فراغ؟

ألست من الأمة الخالدة التي ما عرفت الفراغ؟ ولا عرفت ضياع الوقت؟

كيف يكون لديك فراغ.. وعليك أمانة ومسؤولية وحمل ثقيل؟

في صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ)).

ولما عرف أجيالنا الفراغ ظهر النشء المعوج الذي لا يحمل الرسالة ولا المبدأ ولا المسؤولية.

أعرف السلف الصالح الفراغ؟

ذكروا عن ابن عقيل العالم الكبير الشهير الذي ألف كتاب (الفنون) وهو يوجد في مكتبة بون في ألمانية في حوالي سبعمائة مجلد!!

إنه من شدة حفظه للوقت كان إذا أتي لينام كتب الصفحات والأفكار التي تخطر على ذهنه قبل النوم، وعندما يستيقظ يصنع مثل ذلك.
فألف من هذا الفراغ وهذا الوقت الفاضل سبعمائة مجلد!!

وذكر عنه صاحب طبقات الحنابلة ابن رجب أنه قال: ربما أكلت الكعك ولا آكل الخبز لأن بينهما في الوقت مقدار قراءة خمسين آية!!

نروح ونغـــــدو لـــــحاجـــاتنـــــا
وحـــاجة من عـــاش لا تنــــــقضـــــي
تـــمـــــوت مع المـــــرء حاجاتـــــه
وتبـــــــقي لــــه حاجـــة ما بــــــقـــي

يقول دايل كارنيجي الأمريكي في كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) متحدثاً عن الأمريكان: إنهم لا يعرفون الفراغ.

وقد صدقنا وهو كذوب!.

فإن مصانعهم تهدر ومعاملهم تعمل، ولكنها في الدنيا)يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (الروم:٧) .

يقرأون وينتجون ويقدمون ويخدمون ويفعلون.ز أما أبناء المسلمين فتجدهم يشكون من الفراغ إلا من رحم الله، وخاصة في العطل الصيفية!

وإن اجتهد مجتهد منهم مارس هوايته كما يزعم.

ونحن ليس لنا هواية إلا المحافظة على الصلوات والعيش مع القرآن ومع كتب العلم النافعة..هوايتنا أن نقول للشعوب:

نحـــــن الذين استيقـــــظت بـــــأذنهـــــــم
دنيا الخليقـــة من تـــــهـــاويل الكـــــــرى
نحن الذي باع الحياة أكفهـــــــــــــــــــم
ورأي رضاك أعـــــــــز شيء فاشتري

ومن الذيـــــــــن دكـــــــوا بعزم أكـــــفهـــــم
باب المدينـــــــــة يوم غـــــزوة خيبـــــــرا

فما عرفنا جمع الطوابع إلا عندما تركنا الطريق إلى المسجد.

وما عرفنا مطاردة الحمام والدجاج إلا عندما تركنا الجلوس في حلق العلم!

٩- **ومن الحقوق التي للأبناء على الآباء:** معرفة ميول الابن واتجاهه العلمي والوظيفي ليجعله يواصل في الطريق الذي يحب..فكل ميسر لما خلق له.. ذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه(تحفة المودود في أحكام المولود).

فقال : لا تعسف الشاب بعد أن يكبر على ما ينافي طبعه.

فأنت أيها الأب لا ترغمه على تخصص لا يريده.. وعلى طريق لا يحبه إذا اصبح عاقلاً رشيداً عارفاً بمستقبله، وكان الطريق الذي اختاره يرضي الله.

وهذه طريقة محمد صلي الله عليه وسلم مع أصحابه بأن يجعل كلاً منهم في مكانة المناسب..فمثلاً أتي إلى حسان بن ثابت فوجده شاعراً .. فقال له عندما كان يهجي الكفار: ((اهجم وجبريل معك)) فكان رضي الله عنه شاعر الإسلام وشاعر الدعوة.

وجاء لأبي بن كعب.. وكان قارئاً وتالياً لكتاب الله.

فقال: ((أقرؤكم أبي)).
وجاء إلى زيد بن ثابت فوجده فرضياً .. فعلمه الفرائض وقال: (٠ أفرضكم زيد)).

وجاء إلي خالد بن الوليد فوجده مجاهداً صنديداً شهماً قائداً، فأعطاه السيف وقال: ((

خالد بن الوليد سيف من سيوف الله، سله الله على المشركين)).

فهذه التخصصات لا بد أن نؤمن بها.. في بيوتنا ومجتمعاتنا لينشأ أبناؤنا على رغباتهم إذا كانت ترضي الله.

هذه حقوق أردت باختصار أن أقدمها في هذه الأوراق للآباء، وأسأل الله أن تكون في ميزان الحسنات، وأن ينفع بها المسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبة وسلم.

حافظوا على الصلاة

اللهم لك الحمد خيراً مما نقول، ولك الحمد مثلما نقول، لك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالإسلام،ولك الحمد بمحمد رسول الهدي صلي الله عليه وسلم ، عز جاهك، وجل ثناؤك، وتقدست أسماؤك، ولا إله إلا أنت.

والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للسالكين ، بصر به من العمي، وأرشد به من الجهالة، وأخرج به من الظلمات إلى النور، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

حديثي في هذا الدرس سيكون عن مبدأ أصيل من مبادىء هذا الدين، فماذا نحن إذا تركنا رسالتنا وتعاليمنا وديننا؟ أي أمة نكون إذا تخلينا عن مبادئنا ومنهجنا ورسالتنا الخالدة التي بعث الله بها محمداً رسول الهدي صلي الله عليه وسلم ؟

قبل بعثه النبي صلي الله عليه وسلم كنا قبائل لم تكن لها حضارة ولا أدب ولا رسالة ولا خلق ولا سلوك ولا منهج،)هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الجمعة:٢)

إن البرية يوم مبعث أحمـــــد نظر الإله لها فبدل حـــــالهـــــا

بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالهـــــــا

لبس المرقع وهو قائد أمـــــة جبت الكنوز فكسرت أغلالـــــها

لما رآها الله تمشي نحـــــــوه لا تبتغي إلا رضاه سعي لهـــــا

أتي الإنسان صلي الله عليه وسلم وكان من أعظم أهدافه في العالم أن ينقذ الإنسان، والإنسان بلا إيمان ضائع في الحياة، والإنسان بلا رسالة ميت بلا روح،والإنسان بلا مبادىء دابة أو بهيمة، (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)(الأنعام: الآية١٢٢).

وأنت يا أخي القارىء ، إنما أنت جندي تمثل هذا الإسلام، وإنما أنت من مدرسة

محمد صلي الله عليه وسلم ، وإن ما تقدمه لأبناء أمتك الإسلامية إنما هو في سجل حسناتك يوم أن تصلح ما بينك وبين الله، وإذا انقطع الحبل الذي بينك وبين الله فلن يصلح أبداً ما بينك وبين الناس.

يقول معاوية بن أبي سفيان لعائشة رضي الله عنهت: اكتبي لي وصية وأوجزي ، فقالت لك بسم الله الرحمن الرحيم، سمعت الرسول صلي الله عليه وسلم يقول: ((من أرضي الله بسخط الناس رضي الله عليه وأرضي عليه الناس، ومن أسخط الله برضا الناس سخط الله عليه واسخط عليه الناس)).

وهذا مبدأ معروف أن من قطع ما بينه وبين الله، قطع الله ما بينه وبين الناس ، فما هي الأمانة التي حملك الله إياها؟ وما هي أعظم هذه الأمانة؟ وما هي الوديعة التي أمرت بتأديتها؟

إنها الصلاة يا إخوتي في الله، والذي يخون الصلاة هو أول من يخون مرؤوسيه وأمته، هو أولاً يخون نفسه، ثم يخون أهله وأمته وعهده مع الله تعالي.

فالذي لا يتشرف بالسجود للواحد الأحد على الأرض سوف يسجد لوظيفته ومنصبه، وحذائه وسيارته، ودرهمه وديناره، وفي ذلك يقول صلي الله عليه وسلم : ((تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميلة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)) سماه عبداً لهذه الأشياء لأنها شغلته عن العبادة الحقيقة التي خلقه الله لأجلها، ولذلك يقول شاعر الباكستان محمد إقبال مناجياً الله عز وجل وهو يقرر مبادئ الإسلام.

ومما زادني شرفاً وفخــــــــــــراً   وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبـــــــــــادي   وأن صيرت أحمد لي نبينا

وإرادتنا وقوتنا وعزيمتنا في أداء الصلاة جماعة كل يوم خمس مرات، والذي يتعاهد المسجد كل يوم خمس مرات سوف يكون أميناً مؤتمناً صادقاً مخلصاً منيباً بحول الله وقوته) إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)(العنكبوت: الآية٤٥).

فصاحب الصلوات الخمس لا يرتكب الفحشاء والمنكر، صاحب الصلوات الخمس لا يتعاطى المخدرات، ولا يكذب ولا يخون.

صاحب الصلوات الخمس لا يضيع وقته، ولا يضيع أسرته، ولا يضيع منهجه في الحياة ، ولذلك يخبرنا صلي الله عليه وسلم بأول برنامجنا الصباحي يوم أن نستقبل الحياة، فيقول صلي الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وغيره: ((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم من ذمته بشيء ، فإن من طلبه من ذمته بشيء كبه على وجهه في النار))، ويوم تترك صلاة الفجر جماعة فانتظر من صاحب هذا الترك كل شيء، لا تستبعد عليه كل جريمة.

من الذي قاد الشباب إلى السجون في المخدرات؟ من الذي قاد فتيان هذه الأمة إلى السرقات والزنى والمخالفات والسيئات؟

كل ذلك يوم تركوا الصلوات)وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) (الزخرف:٣٦).والذي لا يعرف المسجد يعرفه الله السجن، والذي لا يخاف من الله يخوفه الله من كل شيء ، والذي لا يرجو لقاء الله، يسلط الله عليه من لا يرجو لقاءه.

فيا إخوتي في الله، الرسول صلي الله عليه وسلم يصف لنا علاجاً لجميع الذنوب والمخالفات، وما أكثرها في حياتنا إلا من رحم الله عز وجل . فيما رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: ((أرايتم لو أن نهراً على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات أيبقي من درنه شيء؟)) قالوا: لا يا رسول الله، قال: ((ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)).

نار الدنيا تطفأ بالماء، لكن نار الآخرة لا تطفأ لأن وقودها الناس والحجارة . والفوز عندنا في الإسلام في قوله تعالي:) فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ)(آل عمران: الآية١٨٥)، فالفوز يبدأ من أن يزحزح أحدنا عن النار،) فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)(آل عمران: الآية١٨٥).

والخزي عندنا نحن أهل الإسلام يوم أن يدخل أحدنا جهنم والعياذ بالله، ليس الخزي في عدم الوظيفة، ولا الخزي أن تعيش فقيراً أو مسكيناً أو مريضاً، لا ، الخزي كما رآه المؤمنون في قولهم:)رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (آل عمران:١٩٢).

إخواتي في الله : إن الصلاة شأنها عظيم في هذا الدين، فهي عموده الذي قام عليه، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، ولذلك لما طعن عمر رضي الله عنه وأرضاه وهو في سكرات الموت قال: الله الله في الصلاة، وهو في سكرات الموت أوصي بالصلاة فقال صلي الله عليه وسلم : ((الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)) عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فإذا علم ذلك، فما وجد في الساحة من أمور تجرك إلى الفاحشة والجريمة، إنما هي من تخطيط المستعمر، وهي حرب اشتركت فيها المجلة الخايعة والأغنية الماجنة والفديو المهدم، وكل ذلك يقود الأمة إلى الدمار والعار.

أذكياء الغرب واساطينه بدأوا الآن ينظرون أنه لا حل إلا الإسلام، ومن ينظر إلى الكاتب الأمريكي ((دايل كرنجي)) يعلم أنه عرف الطريق لكن ما عرف السعادة، يقول : لا سعادة إلا أن تتعرف على الله، ومن أراد فليقرأ الكتاب فهو موجود في أسواقنا ومكتباتنا، لكن لما رخصت قيمة المسلم في نفسه بترك الصلاة بدأت تتداول هذه المعاصي، المجلة الخليعة التي تحمل الصورة للداعرة، فتحبب الفاحشة، وتحبب الجريمة.

والأغنية التي تشغل القلب وتلهيه عن محبوبه ومطلوبه وهو الله الواحد الأحد.
قال ابن القيم:

قال ابن عباس : ويرسل ربنا   ريحاً تهز ذوائب الأغصان

فتثير أصواتاً تلذ لمسمـــــــع   الإنسان كالنغمات بالأوزان

يا خيبة الآذان لا تتعوضي بلذاذة الأوتار والعيـــــدان

الصور التي تعرض في الساحة كلها لإضلال القلوب ولصدها عن باريها سبحانه وتعالي، فبداية الكارثة كانت يوم تركنا الصلاة أو يوم ترك بعضنا الصلاة، أو يوم تهاون بعضنا في الصلاة.

أحد الأدباء العالميين المسلمين الكبار أتي إلى الجزيرة ورأي المساجد ترتفع منائرها في السماء، ورآها مزخرفة وجميلة، لكن ما رأي مصلين، فبكي وقال:

أري التفكير أدركه خمـــول ولم تبق العزائم في اشتعال

وأصبح وعظكم من غير نور ولا سحر يطل من المقال

وجلجلة الأذان بكـــل حي ولكن أين صوت من بلال

منائركم علــت في كل ساح ومسجدكم من العباد خال

العجيب كل العجب أن الله يعطي ما يتمناه العبد كله، فمن كانت إرادته أن يحفظه الله حفظه الله، ومن كان مقصده الزيغ أزاغ الله قلبه. وهذا في القرآن، يقول الله لمن أطاعه سبحانه وتعالي:)وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت:٦٩) ويقول سبحانه وتعالي للزائغين:(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(الصف: الآية٥).

أحد الصالحين وهو عامر بن ثابت بن عبد الله بن الزبير كان إذا صلى الصبح رفع يديه وقال: اللهم إني أسألك الميتة الحسنة ، قالوا: ما هي الميتة الحسنة؟ قال: أن يتوفاني ربي وأنا ساجد، فأتته سكرات الموت وأذن لصلاة المغرب، قال: احملوني إلى المسجد، وقالوا: أنت في الموت كيف نحملك إلى المسجد؟ قال: سبحان الله، أسمع حي على الصلاة حي على الفلاح وأموت هنا!! لا والله. فحملوه على الأكتاف، ووضعوه في المسجد وصلي جالساً، فلما كان في السجدة الأخيرة قبض الله روحه، ولذلك يقول محمد إقبال:

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم والحرب تسقي الأرض جاماً احمرا

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا في مسمع الروح الأمين فكبـــــــرا

فدين بلا صلاة معناه ضياع، لا منهج ، ولا أخلاق، ولا سلوك.

كيف تطلب من الفرد مدنياً أو عسكرياً أن يكون صادقاً وهو لا يصلي؟ كيف تطلب منه أن يكون أميناً وهو لا يصلي؟ كيف تطلب منه أن يكون وفياً وهو لا يصلي؟ فن هدم ما بينه وبين الله هدم الله ما بينه وبين الناس، ولذلك إرادتنا وقوتنا وأصالتنا وعمقنا في الصلوات الخمس، وحين نتركها نضيع والله هباء منثوراً.

وأنا قلت : إن مبدأ الصدق هو حفظ الله بظهر الغيب، يقول لقمان لابنه وهو يعظه: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (لقمان:١٦) .

يقول : لو كانت حبة الخردل هذه، وهي حبة صغيرة كالسمسمة، لو كانت هذه الحبة بصخرة صماء لا يظهر منها شيء أتي بها السميع البصير ، لماذا؟ ليقول له: يا بني لو تسترت بالجدران فالله معك، ولو اختفيت وراء الحيطان فالله معك، ولذلك وجد في الناس من قلت مراقبته للواحد الأحد، فضيع مسؤوليته وأمانته وضيع عمله فجعله هباء منثوراً، فلا بد للعبد من مراقبة الله عز وجل في السر والعلانية، في الخلوة والجلوة، أن يعبد الله عز وجل كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله عز وجل يراه، (مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ)(المجادلة: الآية٧).

يقول الأندلسي موصياً ابنه:

وإذا خلوت بريبة في ظلـــــمة	والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها	إن الذي خلق الظلام يراني

قيل للإمام أحمد: ما دليل القدرة، قدرة البارى؟ قال: يا عجباً بيضة الدجاج، أما ظاهرها ففضة بيضاء، وأما باطنها فذهب الإبريز، تفقس فيخرج منها حيوان سميع ، ألا يدل عل السميع البصير؟

أعرابي يصلي في الصحراء ، بدوي صلي ركعتين، فقال له رجل من الملحدين : لمن تصلي؟ قال: لله. قال: هل رأيته؟ قال: عجباً لك ، الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، وسماء ذات أبراج، وليل داج ، ونجوم تزهر ، وبحر يزخر ، ألا يدل على السميع البصير؟!!

قل للطبيب تخطفته يد الردى	من يا طبيب بطبه أرداك
قل للمريض نجا وعوفي بعدما	عجزت فنون الطب من عافاك

قام صلي الله عليه وسلم على المنبر يوم أحد قبل المعركة بيوم فأعلن الحرب على أبي سفيان، وندد بإجراءاته وبظلمه وبتعسفه حول المدينة، وقال: نقاتلهم في المدينة، ما نقاتلهم في أحد، فقام شاب في الخامسة والعشرين من عمره قال: يا رسول الله لا تحرمني دخول الجنة، فو الله الذي لا إله إلا هو لأدخلنها.

فتبسم صلي الله عليه وسلم من الذي يحلف على الله فقال: ((بماذا تدخل الجنة؟)) ما هي المؤهلات؟ قال: بخصلتين ، أولهما: أني أحب الله ورسوله، وثانيهما : أني لا أفر يوم الزحف.

قال صلي الله عليه وسلم : ((إن تصدق الله يصدقك))، إن كنت صادقاً فسوف تري، فبدأت المعركة، وحضر هذا الشاب ، وخاضها بنفسه، يريد جنة عرضها السماوات والأرض،

ما يقاتل من أجل ناقة أو شاة أو بعير، لا، بل من أجل إرضاء الواحد الأحد، فقتل ومر به صلي الله عليه وسلم ومسح التراب عن وجهه وقال: ((صدقت الله فصدقك الله، صدقت الله فصدقك الله، صدقت الله فصدقك الله)).

وليس بغريب أن يأتي من أمثالكم من الأبرار الأماجد فيعيدون سيرة السلف الصالح من أمثال خالد بن الوليد الذي تحدي الموت، قال له الرومي: يا خالد إن كنت متوكلاً على الله كما تزعم فهذه القارورة مملوءة سما فاشربها.

فقال خالد: بسم الله توكلت على الله، وشرب القارورة كلها ثم قال: الحمد لله، فما أصابه شيء ، لأنه توكل على الواحد الأحد.

قتيبة بن مسلم أتي يحاصر كابول عاصمة أفغانستان التي ضاعت منا لما ضيعنا الصلوات الخمس، جيوش ما تصلى كيف تنتصر؟ جيوش ما تعرف الله كيف تتوجه إلى الله ؟ كيف ينزل النصر والفتح والرزق إلا من عند الواحد الأحد؟ النصر من السماء ليس من الأرض ، أتينا إلى الدنيا ما عندنا إلا خيول قليلة، وثياب ممزقة، ورماح مكسرة، ففتحنا الدنيا.

سعد بن أبي وقاص ــ قبل أن آتي إلى قتيبة ــ حضر القادسية بثلاثين ألفاً وجيش فارس مائتان وثمانون ألفاً ، فقام سعد يصلى الظهر بالمسلمين، قال: الله أكبر، فكبر معه ثلاثون ألفاً، وركع فركعوا في لحظة واحدة ثم سجد فسجدوا جميعاً، فقال رستم قائد فارس وهو ينظر من بعيد إلى الجيش في انتظام، فعض أنامله وقال : علم محمد الكلاب الأدب ، بل علم صلي الله عليه وسلم الأسود الأدب، وبدأت المعركة.

قال رستم قائد فارس لسعد: أريد أن ترسل لي جندياً من جنودك لأكلمه، فأرسل سعد ربعي بن عامر في الثلاثين من عمره، قال: لا تغير من هيئتك شيئاً، فإنا لن نفتح إلا بطاعة الله، يقول: لا تأخذ شيئاً، لا تلبس تاجاً، ولا ذهباً ولا حريراً، كن على هيئتك، لأن مبادئنا في قلوبنا، وإرادتنا تحطم الحديد، فذهب ربعي بفرسه ورمحه وثيابه ودخل على رستم.

فلما رآه رستم هو ووزراؤه وقواد الجيوش ضحكوا، قال رستم: جئتم تفتحون الدنيا بهذا الفرس المعقور، والرمح المثلم والثياب الممزقة؟ قال ربعي: أي والله، إن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العبادة إلى عبادة رب العبادة، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وبدأت المعركة، وفي ثلاثة أيام صفي سعد حساب المجرم، وسحقهم في الساحة، (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧)كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) (الدخان:٢٥/٢٩) .

حاصر قتيبة بن مسلم كابول ليفتحها، وقبل الحصار قال: التمسوا لي محمد بن واسع، ابحثوا لي عن العابد الزاهد محمد بن واسع الأزدي أحد العباد الكبار ممن حضر المعركة، فذهبوا فوجدوه قد صلي ركعتي الضحي وأتكأ على رمحه ورفع سبابته إلى الواحد الأحد...من أين يأتي النصر والفتح؟ من الله. من أين يأتي الرزق؟ من الله.

يـــــا حافـــــــــظ الآمال أنـــ ـــت حفظتني ومنعتنـــــــــي

وعدا الظلـــــوم علـــى كـــــي يجتاحني فنصــــرتــــنـــي

فانقــــاد لـــي متخشعـــــــــــاً لــــمـــا رآك منعتنــــــــي

دخلت بعض الجيوش العربية إسرائيل وقد كتب على بعض أعلامها:

آمنت بالبعث رباً لا شريك لــــه وبالعروبة دينـــاً ما له ثان

وضربت الدبابات في الصباح، وفي ما يقارب الساعة العاشرة دخلت الجيوش بلادها مهزومة ، وإذا الثكالى يندبن ويلطمن وجوههن، وإذا موشي ديان يتكلم على الشاشة ويضحك ويقول: العرب لا يعرفون القتال، ابن القرد والخنزير يتكلم عليهم ما تركوا الصلوات الخمس وكفروا بالواحد الأحد، أخزاهم الله، فتكلم هذا القرد لأنه وجد في الساحة شكلاً آخر غير الشكل الذي واجه به اليهود الصحابة، ليسوا من أحفاد خالد وسعد وطارق وصلاح الدين.

رجل آخر يقول في مجمع ويصفقون له، يقول:

هبوا لي ديناً يجعل العرب ملة وسيروا بجثماني على دين برهم

يكفر بالإسلام يقول: أعطوني أي دين يجمع العرب غير الإسلام.

بلادك قدمها على كـــل مـــله ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

تعالي الله عما يقولون علواً كبيراً.

قال قتيبة بن مسلم: التمسوا لي محمد بن واسع فوجدوه يمد أصبعه ويدعو الله، فعادوا إلى قتيبة فاخبروه، فقال: الحمد لله، والذي نفسي بيده لأصبع محمد بن واسع خير عندي من مائة ألف سيف شهير، ون مائة ألف شاب طرير، فإذا علم ذلك فلا نطلب التوفيق إلا من الواحد الأحد، والتوفيق إنما يأتي عندما نصلح ما بيننا وبين الله ونصلح ما بيننا وبين الناس.

يقول أحد الصالحين: والله إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وخلق خادمي، من يعصي الله يعصي الله عليه كل أمر، مسؤوله لا يرضي عنه، أمته لا ترضي عنه، ولاة الأمور لا يرضون عنه، ومن تردي برداء ألبسة الله ذلك الرداء.

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضي والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

العنصر الثاني: أوصيكم باجتناب المعاصي ما ظهر منها وما بطن، والمعاصي هذه مقت وغضب ولعنة من الله الواحد الأحد. يقول الله عن بني إسرائيل :)فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ)(المائدة: الآية١٣) ويقول سبحانه وتعالي فيهم:) كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّه)(الجمعة: الآية٥) .

والله عز وجل يقول:)أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد:١٦) .

علم أن من ضيع الله في الطاعات يبتلى بالمعاصي، وأن من ثبته الله على الطاعات يثبته حتى الموت ، (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (ابراهيم:٢٧).

حدثني بعض الإخوة أن في الجزائر شاب عابد ولي من الأولياء أتته حادثة انقلاب سيارة، فأغمي عليه ثلاثة أيام... أترون ماذا كان يقول في الثلاثة أيام؟ كان يقرأ الفاتحة على لسانه وهو مغمي عليه لا يدرك شيئاً، كان يردد الفاتحة صباح ومساء حتى أتاه موته.

شاب آخر في هذه البلاد أتاه حادث انقلاب سيارة فوجد تحت الكفر وهو في حالة شنيعة وهو يردد: هل رأي الحب سكارى مثلنا!! ، (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (ابراهيم:٢٧).

ذلك يوم نشأ على الفاتحة ، مات على الفاتحة، وهذا يوم أن نشأ على هل رأي الحب سكارى مثلنا، مات على ذلك لأن معتقده ومبدأه ومنهجه هذا الصنف، والله يثبت من يشاء ويضل من يشاء لكن بأسباب وبإرادات وبمزاولة من العبد، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

إذا علم هذا، فإن واجب العبد أن يكف عن المعاصي ، وأن يتقي الله ليسدده الله عز وجل ويأخذ بيده، ونحن نعترف بنعم الله علينا ظاهرة وباطنة، لكن وجد من أبنائنا من بدلوا نعمة الله كفراً،)أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) (ابراهيم:٢٨).
والذي يطالع في الأحداث التي وقعت في الساحة قبل أيام يري أن هناك أناساً يعيشون بلا إدراك وأنه ينقصهم الوعي، وأنه لا بد من دعوة هؤلاء وحثهم على الطاعة، وهذا واجب الدعاة والآباء والأساتذة، على هؤلاء جميعاً أن يوجهوا ذاك الجيل، الجيل الذي ترك المسجد، فلما ترك المسجد أتي ليشغل فراغه بكل شيء ، جيل يتابع أحداثاً ما كان لها أن تتابع، هدد الأمن وأزعج الناس وضيع وقته ومستقبله.

أري الكافر أن هذه أمتنا، وأن هذه رسالتنا في الحياة، زمجرة، ورقص ، وتصفيق ، وتهتك ونهيق وزفير، والإسلام بريء من هذا، الإسلام دين عقل ونقل، والإسلام مبادىء خالدة ، الإسلام رسالة في الحياة،)وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان:١٩/١٨) ، الإسلام رسالة.

فالعنصر الثاني: أن نكف عن المعاصي، يقول الشافعي وقد شكا لشيخه سوء الحفظ والنسيان فأمره بترك معصية الله عز وجل :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلــــــم نور ونور الله لا يؤتي لعــــاص

أحد الناس نظر نظرة لا تجوز له فقال له أحد العلماء: أتنظر إلى الحرام، والله لتجدن نتيجتها وغبها بعد حين، قال: نسيت القرآن بعد أربعين سنة، لأنها اثر.

وىثار الذنوب كثيرة، منها: قسوة القلب، وقسوة القلب ضرب به اليهود ضربة قاسية، لأنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم. ومن آثار الذنوب اللعنة، لأن العبد إذا استمر في الذنوب وطبع على قلبه لعن والعياذ بالله.

ومن آثار الذنوب قلة البركة في الرزق، ومن آثار الذنوب الضنك في المعيشة، رأيناهم ورأيتموهم يسكنون في القصور الشاهقة ويركبون السيارات الفاخرة ويلبسون الملابس الفاخرة ويتنعمون بالمشارب والمطاعم، لكنهم ما وجدوا الأمن والسكينة، (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (طــه:١٢٤/١٢٦).

إبراهيم بن أدهم أحد الصالحين ، يعيش على الرصيف وما يجد إلا كسرة خبز، ولكنه بذكره وتلاوته وعبادته يعيش في رغد من العيش، في جنة ، قال له الناس: هل أنت سعيد؟ قال: والله الذي لا إله إلا هو، إنا في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف.

ابن تيمية شيخ الإسلام ما كان يملك من الدنيا إلا ثوب وعمامة، لكن يقول وقد سجنه أهل البدع وأهل المعاصي لما أنكر عليهم قال: ماذا يفعل أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أني سرت فهي معي.. أنا قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وسجني خلوة.

أغلقوا عليه باب السجن فقال:) فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ)(الحديد: الآية١٣) ، يقول له أحد الفجرة من السلاجقة: يا ابن تيمية يزعم الناس أنك تريد أن تلغي ملكنا، وتأخذ ملكنا.

قال: ملكك؟

قال: نعم.

قال: والله ملكك لا يساوى عندنا فلساً واحداً ، لأنه يريد السعادة، والسعادة لا تحصل والله إلا بذكر الله، ومن يقرأ (٠ دع القلق وابدأ الحياة)) لدايل كارينجي، و((الإنسان لا يقوم وحده)) لكيرسي ميرسون، يري أنهم ما وجدوا السعادة.

يقول أحدهم: بحثنا عن السعادة فأخفقنا.. وهذا الذي ألف الكتاب أخذ السكين وذبح

نفسه فمات، لأنه ما وجد السعادة.

ما هي السعادة؟ السعادة أن تتوضأ كل يوم خمس مرات، السعادة أن تصلي كل يوم خمس مرات فرائض وأن تتزود بالنوافل، السعادة أن تطالع القرآن المجيد وأن تتدبر آياته، السعادة أن تكون ذاكراً للواحد الأحد ، السعادة أن تجدد التوبة لك دائماً، السعادة أن تخرج المنكرات والفواحش والمعاصي من بيتك، أن تكون رجلاً حازماً مربياً معلماً موجهاً في مجتمعك وأمتك، وتقودهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض،)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم:٦)
بعض الناس كبير في السن جاوز الأربعين، حدثنا عنه أنه لما أتت المباراة كان ينظر إلي الشاشة ، فلما أتت الصلاة أراد ألا تفوته المباراة فأخذ غترته وجدعها وأنزلها في الأرض ثم نقر أربعاً وسلم، وأخذ يتابع المباراة!! أهذه صلاة؟ أهذا قلب أوتي نوراً؟) ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)(النور الآية٤٠).

بعض الناس وجد أنه يتحمس لقضايا الدنيا، ولو ضيع ابنه عشرة ريالات لأقام الدنيا وأقعدها على تضييعها، ولكن ابنه لا يصلي، ابنه يدخن، ابنه يستمع الغناء الماجن صباح ومساء ، ابنه لا يقرأ القرآن ، ابنه مع الشلل والعصابات المنحرفة في المقاهي والمنتديات ومع ذلك لا يغضب!! أي قلب هذا؟

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجـــــــــــــــرح بميت إيلام

يا أيها الإخوة الأخيار، يا أيها الأبطال، يا أبناء من رفعوا لا إله إلا الله، ووزعوا لا إله إلا الله على البشرية، إنني أسألكم بالله العظيم أن نعرف مسؤولياتنا ومهماتنا،ومقاصدنا في الحياة الدنيا، إذا عرفنا ذلك نفعنا أمتنا وبـا ودييننا، ورفعنا أنفسنا فوق هامات الجميع، وإلا لو كانت المسألة مسألة تقدم مادي وحضاري دنيوي لكان الكفار فوقنا في كل شيء.

نحن ما صنعنا طيارة ولا سيارة ولا صاروخاً ولا برادة ولا ثلاجة، لكننا أتينا لنصنع القلوب، أتينا لنقدم للناس إسلاماً وديناًن يقول كيرسي ميرسون: أعطيناكم الطائرة والصاروخ والثلاجة والبرادة، وأنتم لم تعطونا الإسلام، حرمتمونا الإسلام، نعم إنهم يريدون الإسلام.

لقد أخفق كل دين في الساحة إلا دين الله وهو الإسلام . جربت العلمانية فإذا هي لعنة، وجربت النصرانية المحرفة فإذا هي لعنه، وجربت الشيوعية فإذا هي لعنه، وأتي الناس يدخلون في دين الله، ولكن شبابنا بدا كثير منهم معجباً بنفسه، متكبراً على أوامر ربه، ومنهم من ترك الصلاة بالكلية ، فهل هؤلاء الذين سيقدمون الإسلام للبشرية؟

فيا إخوتي في الله، هذه المعلومات ليست بغريبة عليكم ولا جديدة، ولكن من باب الذكري والاتعاظ، لعل الله أن يرحم حالنا، لأن المعاصي كثرت، وسببها ترك الصلوات الخمس، ولذلك كتب عمر إلى سعد في القادسية: الصلاة الصلاة، فإن عدوكم لن يغلبكم إلا بمعاصيكم أو كما قال عمر رضي الله عنه وأرضاه.

فيا إخوتي في الله، أسأل الله أن يغفر لي ولكم الذنوب والخطايا، وأن يجعلنا صالحين مصلحين، مصلين صائمين، ذاكرين عابدين.

يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا وارحم أيا رب ذنباً قد جنيناه

كم نطلب الله في ضر يحل بنا فإن تولت بلايانا نسينـــــــاه

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتا فإن رجعنا إلى الشاطيء عصيناه

ونركب الجو في أمن وفي دعة فما سقطنا لأن الحافـــــــظ الله

فيا الإخوة الأخيار، يا من تقدمون النفع للأمة، يا من تسهرون لينام الآخرون،) قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)(التحريم: الآية٦).

أطفئوا عنكم نار جهنم، أنقذوا عنكم نار جهنم، أنقذوا أنفسكم وأهليكم من النار، حافظوا على عهد ربكم ولا تضيعوه بتضييع الصلوات الخمس في المساجد، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، حافظوا على كتاب ربكم تلاوة وحفظاً وفهماً وتدبراً ، أعدوا أنفسكم ليوم قال فيه:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (الحج:١/٢) .

والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الصلاة..الصلاة

الحمد لله الذي كان بعبادة خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أخرج الأمة المظلومة المنهوبة والمسلوبة إلى فضاء النور والريادة والقيادة، حول الأمة المسكينة التابعة المقلدة إلى أمة قائدة رائدة معلمة.

صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

يقول صلي الله عليه وسلم في الصحيحين: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني

دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله، فأمره الله أن يقاتل هذا الإنسان حتى يسجد لله.

إنها المفاصلة بين الإنسان وبين الدين يوم أن يتهاون بالصلاة، أو يترك الصلاة، أو يتنكر للصلاة، أو لا يتعرف على بيت الله، أو لا يسجد لله. حينها يصبح هذا الإنسان لا قداسة له ولا حرمة ولا مكانة ولا قيمة.

هذا الإنسان يوم يترك الصلاة يكون رخيصاً لا قيمة له، تهان كرامته ويعزر بقطع رأسه، قيل حداً وقيل قتلاً على الكفر وهو الصحيح.

فالرسول صلي الله عليه وسلم أمره الله أن يشهر السيف فيقاتل هذا الإنسان حتى يعترف بالصلاة ويصليها.

يقول الله عن جيل من الأجيال الذين تهاونوا بالصلاة:)فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) (مريم:٥٩) ، قال أحد السلف: أما إنهم ما تركوها ولكن أخروها عن أوقاتها.

أي إسلام لمسلم يدعي الإسلام وهو يترك الصلاة ولا يصليها حتى يخرج وقتها؟ أي دين له، ما معني لا إله إلا الله لرجل تؤخره تجارته عن الصلاة، أو وظيفته أو عمله أو منصبه أو اجتماعه؟ ثم يأتي بعدها يتبجح على الأمة وعلى العالم بأنه مسلم بهويته، فأين الصلاة؟

)إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:١٤٢) ، إنهم يصلون الساعة ولكن صلاة العصر بعد غروب الشمس، وصلاة الظهر الساعة الثانية، وصلاة المغرب مع صلاة العشاء، وصلاة الفجر مع طلوع الشمس.

فأين الإسلام؟

وأين لا إله إلا الله؟

وأين التحمس للدين؟

حضرت رسول الله صلي الله عليه وسلم معركة الأحزاب قبل أن تنزل صلاة الخوف ، فقام يقاتل المشركين في جهاد ودمه يثعب في الأرض في مخاصمة لأعداء الله، فنسي صلاة العصر حتى غربت الشمس ، ما نسيها وهو في لهو.. حاشا وكلا، أو في مباحات حاشا وكلا، بل نسيها أثناء احتدام الصراع مع الخصم، فاليهود والمشركون والمنافقون أنسوه صلاة العصر.

فلما غربت الشمس قال لعمر: ((أخروا علينا صلاة العصر ــ أو شغلونا عن صلاة العصر ــ ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً)).

ثم قام صلي الله عليه وسلم وصلاها. وأنزل بعدها الله صلاة الخوف كي يصليها

الخائف في صف القتال، ويصليها الذي يمتطي الدبابة، ويصليها المريض على السرير، فلا يعذر أحد، بل يصليها الجريح وهو في جراحه.

إن تأخير الصلاة عن وقتها من النفاق الصريح الذي وقع فيه كثير من الناس إلا من رحم ربك.

قال صلي الله عليه وسلم وهو في سكرات الموت: ((الله الله في الصلاة، وما ملكت أيمانكم)).

أي دين بلا صلاة؟

ما معني لا إلهه إلا الله؟

ما معني الانتساب للإسلام بلا صلاة؟

يقولون : نحن مسلمون..ولكنهم في تهاون بالصلاة ، ونقر للصلاة ، وتأخير للصلاة.

فأين لا إله إلا الله؟

وأين الصدق مع الله؟

صح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((والذي نفسي بيده لولا ما في البيوت من النساء والذرية لحرقت عليهم بيوتهم بالنار)).

لماذا؟

لأنهم أصبحوا في عداد المنافقين، يتدرعون بالإسلام ولكن لا يصلون مع الناس، ويدعون لا إله إلا الله ولكن تؤخر الصلاة إلى آخر وقتها، أو حتى يخرج وقتها.

يسأل صلي الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال.

قال : ((الصلاة في أول وقتها)).

ويقول صلي الله عليه وسلم : ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)).فدمه مسفوك بسيف الشريعة، وهو خارج من الملة لا طهر له ولا قداسة ولا عرض ولا حرمة، فيصبح لا حماية له ولا حضانه ولا صيانة لأنه حارب الله.

ويقول صلي الله عليه وسلم : ((بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة))، فلم يعذر الرسول صلي الله عليه وسلم أحداً عن ترك الصلاة إلا من عذره الله (أعني الجماعة).

يقول ابن مسعود : والذي نفسي بيده لقد كان يؤتي بالرجل يهادي به بين الرجلين من المرض حتى يقام في الصف.

ومرض أحد الصالحين من التابعين اسمه ثابت بن عامر بن عبد الله بن الزبير، وهو في مرض الموت سمع أذان المغرب فقال لأبنائه: احملوني إلى المسجد.

قالوا : أنت مريض وقد عذرك الله.

قال: لا إله إلا الله، أسمع حي على الصلاة حي على الفلاح وأصلي في البيت؟! والله لتحملني.

فلما سجد السجدة الخيرة من صلاة المغرب قبض الله روحه.

يقول أهل العمل: إن هذا الرجل كان إذا صلي الفجر كان يقول: اللهم إني أسألك الميتة الحسنة، يعني الجميلة البديعة الرائعة.

ما هي الميتة الحسنة؟

قال: أن يتوفاني الله وأنا ساجد.

فالميتة الحسنة أن يتوفاك ربك بعد فريضة، او في صف الجهاد في سبيل الله، أو يتوفاك وأنت على طهارة، أو يتوفاك وأنت في السجود، وأنت في طلب العلم، أو يتوفاك وأنت منفق في سبيل الله.

والميتة القبيحة هي أن يتوفى الله العبد وهو على الأغنية الماجنة، أو على السهرة الماجنة، أو في سفر لطلب الفاحشة، أو على كاس الخمر. هذه هي الميتة التي تعوذ منها الصالحون.

سعيد بن المسيب كان بيته في أقصي المدينة، وكان يأتي في ظلام الليل إلى مسجد المصطفي صلي الله عليه وسلم ، فقال له إخوانه: خذ سراجاً لترى به الطريق في ظلام الليل.

قال: يكفيني نور الله،) وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)(النور: الآية٤٠).

ولذلك في الحديث عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)). أفي القيامة ظلمات؟ أفي القيامة ليل؟ أي والله ليل أدهي من الليل، وظلمة أدهي من الظلمة ، يجعلها الله لأعداء المساجد والذين انحرفوا عن بيوت الله، فيظلم عليهم طرقاتهم عندما يقولون للمؤمنين:) انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً)(الحديد: الآية١٣) ، فلا نور لمن لا نور له.

كان سعيد هذا عالم التابعين، بعين واحدة، قالوا: من كثرة البكاء في السحر من خشية الله.

كان يذهب بهذه العين في ظلام المدينة إلى المسجد ويقول في سكرات الموت وهو يبتسم: والله ما أذن المؤذن منذ اربعين سنة إلا وأنا في المسجد قبل الأذان.

ولكن أتي خلف أكلوا نعم الله وتمرغوا في أيادي الله، ونسوا حظهم من الله، فأصبحت الصلاة في حياتهم من آخر الاهتمامات.

ودع عمر رضي الله عنه وأرضاه سعداً إلى القادسية وأخذه على جانب وأوصاه بالجيش وبالصلاة وقال: الله الله بالصلاة، فإنكم إنما تهزمون بالمعاصي.

وكان الصحابة إذا حضر الخوف، وتلاحمت السيوف، وأشرعت الرماح، وتنزلت الروس من على الأكتاف، تركوا الصفوف لطائفة وقامت طائفة تصلي.

نحن الذين إذا دعـــــوا لصـــــــــلاتهم والحرب تسقي الأرض جاماً أحمرا

جعلوا الوجوه إلي الحجاز فكبـــــــــــروا في مسمع الروح الأمين فكبـــــــــرا

حضر أجدادنا الذين فتحوا الدنيا بلا إله ألا الله حصار كابل عاصمة أفغانستان وطوقوها من كل جهة، ولبسوا أكفانهم لأنهم يريدون الحياة في عز أو الموت في سبيل الله،)قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ)(التوبة: الآية٥٢) إما الشهادة وإما النصر.
فإما حياة نظم الوحي سيرهـــــــــــــــــا وإلا فموت لا يسر الأعاديــــــا
إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنــــــــــــــــــــا كفي بالمطايا طيب ذكراك حاديا

وقفوا بأكفانهم يحاصرون كابل، ولما صلوا الظهر قال القائد العظيم فتيبة بن مسلم الذي كان قبل المعركة يبكي ويمرغ وجهه في التراب ويطلب النصر من الله، فلما وقف بعد صلاة الظهر وكان جيشه مائة ألف قال: ابحثوا لي عن الرجل الصالح محمد بن واسع، أين هو؟ محمد بن واسع، مفتي الجيش الإمام الزاهد العلامة، قال: ابحثوا لي أين هو في هذه الساعة.. ساعة الصفر.. ساعة تنزل النصر من السماء.. ساعة بيع الأرواح .ز ساعة تفتح الجنان واستقبال الحور العين لشلهداء.. ساعة حضور الملائكة.

قال : ابحثوا عن محمد بن واسع، فالتمسوه فوجدوه يبكي وقد اتكأ على رمحه ورفع أصبعه يقول: يا حي يا قيوم.

فأخبروا قتيبة فدمعت عيناه ثم قال: والذي نفسي بيده لأصبع محمد بن واسع خير عندي من مئة ألف سيف شهير، ومن مئة ألف شاب طرير.
وابتدأت المعركة وانتصر المسلمون وصلوا صلاة العصر داخل كابل.
إنها الصلاة التي هي الحياة، حياة القلوب ، إنها الميثاق ، إنها العهد بين الإنسان وبين الله، ويوم يتهاون بها أو لا يصليها المسلم جماعة مع استطاعته فعلم أنه قد أدركه الخذلان، وأن حبل الله قد انقطع منه وأن اللعنة قد نالت .

عباد الله إن من أسباب سعادتنا وحفظ الله لنا ورغد العيش الذي نعيشه أن نحافظ على عهد الله في الصلاة وأن نتواصي بها.

يقول لقمان عليه السلام لابنه: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ)(لقمان: الآية١٧) فهل من مصل؟ وهل من مؤد للصلاة في أول وقتها؟ وهل من حريص على تلك الشعيرة العظيمة التي أتي بها صلي الله عليه وسلم ؟ فإنها الحياة.

طعن عمر في صلاة الفجر رضي الله عنه وأرضاه ، ففاتته ركعة واحدة، غلبه الدم وحمل على أكتاف الرجال ووصل إلى بيته فقال: هل صليت؟

قالوا : بقي عليك ركعة.

فقام يصلي فأغمي عليه ، ثم عقد الصلاة فأغمي عليه، ثم أتم الركعة.

فقال: الحمد لله الذي أعانني على الصلاة، الله الله في الصلاة لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

فمن حفظ الصلاة حفظه الله، ومن ضيع الصلاة ضيعه الله ، (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)(العنكبوت: الآية٤٥).

أقول هذا لأني أخشى أن يؤخر الناس الصلاة لظروف الاصطياف في أبها وما جاورها ، فربما يجعل الرغد والأمن والسكينة بعض النفوس تلهى عن الله، وتبعد عن الله، أو تؤخر فريضة الله، بحجة النزهة أو الزيارة أو الفرجة.

فالله الله في الصلاة يا عباد الله من مقيم ومصطاف ، أدوها في وقتها بخشوع لعل الله أن يرحمنا .

وأما عن يوم الجمعة فأقول:

إن يوم الجمعة أفضل الأيام عندنا أهل الإسلام..يوم الجمعة عيد لنا.. يوم الجمعة تاريخ.. يوم الجمعة له قصة من أعظم القصص.. هذا اليوم الذي نعيشه في هذه اللحظات خلق الله فيه آدم وأدخله الله الجنة وأخرجه من الجنة وفيه تقوم الساعة.

هذا اليوم وهذه الساعة كان هو موعد النزال بين موسى وفرعون، يوم الصراع العالمي بين الحق والباطل، يوم نزل موسى بلا إله إلا الله والعصا، وفرعون بالدنيا ودجاجلة الدنيا وسحرة الدنيا فقال:) مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً)(طـــه: الآية٥٩) .

ولكن ما هو واجب هذا اليوم علينا؟

إن مما يؤسف له أن كثيراً من الناس جعلوا هذا اليوم موسماً للنزهة، وفي طريقهم يضيعون صلاة الجمعة، فلا يحضرون الخطبة ولا يؤدون شعائر الصلاة، ولا يتهؤون لهذا الجمع العظيم الذي هو جمع من أعظم الأيام في أيام الله.

فمن الصباح الباكر والملائكة على أبواب المساجد تسجل الأول فالأول، فإذا دخل الخطيب طوت الصحف وأنصت لسماع الخطبة.

ومن الصباح والكائنات مصغية تنتظر قيام الساعة كما صح به الحديث.

وقد نص شيخ الإسلام على أن المسافر إذا حضر صلاة الجمعة في المدينة فإن عليه أن يحضرها في المسجد.

فالمسافر وهو في حال السفر إذا نزل في مدية تقام فيها الجمعة عليه وجوباً أن يحضر صلاة الجمعة ليستمع الخطبة، ليعيش مشاعر المسلمين وأحاسيس المسلمين.

أيها المسلمون ! في يوم الجمعة علينا واجبات:

منها الاغتسال والطيب، وقد أوجبها بعض أهل العلم والجمهور على سنية الغسل.

لماذا الاغتسال؟

للقاء الله، لأنه يوم عيد وربما أتتك المنية في هذا اليوم، وهو يذكرك بيوم العرض الأكبر على الله، واليوم الأكبر يوم القيامة يتجمل له بغير هذا الجمال الظاهري الذي نتجمل به هذا اليوم ، فليس في يوم القيامة مطارف ولا ثياب ولا زينة ظاهرية،)يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) (الحاقة:١٨)

السجل مكشوف ، والبدن عار، والقلب مفتوح ، والضمائر معروفة، والتاريخ مفتوح أمام من لا تخفي عليه خافية،)وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)(الأنعام: من الآية٩٤)،)وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)(الكهف: من الآية٤٩).

كان عمر رضي الله عنه وأرضاه ينبه الناس على هذا اليوم ويأمرهم بالتهيؤ فيقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر على الله.

أما الظواهر فجميلة ، ولكن البواطن فلا ندري ما حالها.

لبسنا واشياً من كل حسن   فما سترت ملابسنا الخطايا

وتلك قصورنا بالجو شاخت   وتلك قبورنا أضحت صلايا

أيها المسلمون ، ومن المشاعر الحية يوم الجمعة كثرة قراءة القرآن، فهل يعقل أن الخطيب يدخل وبعد دقائق يدخل المصلون بعده؟ بل أن المساجد يبقي فيها مجال وسيع للناس، فإذا سلم الخطيب دخل المتخلفون بلا أجور يشهدون الصلاة.

فأين الساعة الأولي؟ والثانية؟

وأين أهل الصفوف الأولي؟ ولا يزال قوم يتقدمون حتى يقدمهم الله في من عنده، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله في من عنده.

وبعض الغوغاء الذين لا يفهمون أحكام الله يبيعون ويشترون بعد النداء الثاني وبعد دخول الخطيب، أي بيع لهم؟ لا أربح الله بيعهم ! ولا أربح الله تجارتهم، والملائكة تنصت الاستماع ، والسماء مفتوحة لصعود الدعاء، وخطباء الأمة الإسلامية على المنابر، وقلوب الناس منفتحة لسماع كلام الخطيب، والسكينة تغشي الناس، والرحمة تحف بهم، والله يباهي بهم في السماء، وهؤلاء اللاهون يبيعون ويشترون ويجرحون مشاعر المسلمين.

إنه جرح لمشاعر المسلمين أن يباع وأن يشتري بعد النداء الثاني، وإنه تعد على حرمة صلاة الجمعة.

ومن الآداب والسنن يوم الجمعة كما ذكرت التطيب لها والتزين لأن الله يقول:)يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)(لأعراف: الآية٣١) .

فيا أيها المسلمون: الصلاة الصلاة ، عليكم بالمحافظة عليها، ويأتي على راسها صلاة الجمعة، فحافظوا عليها وأدوها بخشوع، واستعدوا لها لعل الله أن يرحمنا برحمته.

والله أعلم، وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دفاع عن المرأة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

يقول المولى جلت قدرته وهو يذكر الناس بتقواه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (النساء:١) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات:١٣)
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم:٢١) .

قال بعض أهل التفسير:(وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (النساء:١) أي: خلق حواء من ضلع آدم.

وقال غيره: بل كل زوج من أصل الزوج الآخر) لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)(لأعراف: الآية١٨٩) أي يسكن بعضهم إلى بعض. وسمي الله الأزواج سكناً وهن ستر في الدنيا والآخرة.

وقد حث صلي الله عليه وسلم على الرحمة بالمرأة ودافع عنها، وهو الذي أعلن حقوقها يوم عرفة فأوصي بهن، ولقد رزقه الله أربع بنات وأحيا الله بناته حتى رآهن

وزوجهن ودفن بعضهم، وكان يبدأ بهن قبل أن يسافر ويبدأ بهن إذا وصل من السفر من حبه لهن صلي الله عليه وسلم .

كان يقول صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: ((إن المرأة خلقت من ضلع)) وقال ابن عباس : من ضلع آدم.

وقد روي أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنهما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ((إن النساء شقائق الرجال))، حديث حسن.. والمعني أن المرأة شقيقة الرجل ، وأنها نصف المجتمع ، وأنها مؤدبة للرسالة في بنات جنسها.

والمرأة عندنا أم وزوجة وأخت وبنت ومعلمة ومربية وداعية. قال سبحانه وهو يتفضل على عباده في العمل الصالح: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)(الأحزاب: الآية٣٥)، وذكر الله أفعال الخير حتى ختم الآية.

ويقول سبحانه وتعالي في سورة آل عمران يوم ذكر الدعاة والمجاهدين والمهاجرين:)فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)(آل عمران: الآية١٩٥) وقال سبحانه وتعالي:)وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة:٧١).

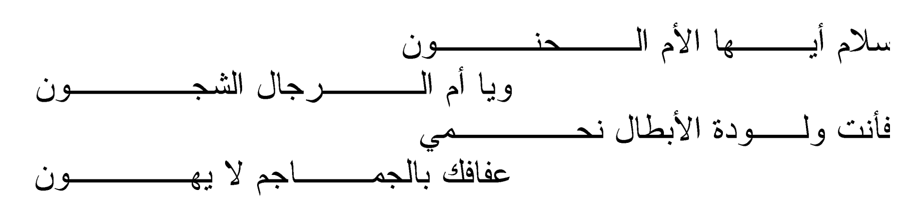
فهناك ح–هم المؤمنون والمؤمنات، وهناك ح–هم المنافقون والمنافقات ، وهناك لواء المسلمين والمسلمات، وهناك لواء المشركين والمشركات.

وقال صلي الله عليه وسلم : ((الله الله في النساء فإنهن عوان عندكم))، قال أهل الغريب: عوان: أي أسيرات.

فالمرأة أسيرة وواجب على المسلم إن يرحمها وأن يقدرها ويحترمها.

وصح عنه صلي الله عليه وسلم عند أبي داود وغيره أنه قال: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))، فخير الناس لأهله محمد صلي الله عليه وسلم . قالوا لعائشة: كيف كان صلي الله عليه وسلم إذا دخل عليكن..قالت : (كان يدخل ضاحكاً بساماً)، برغم المشاكل التي تطوف بأمته والحوادث المستقرة على رأسه، ولو وضعت على كثير من البشر لما استطاعوا حملها.
وفي كتاب البخاري في الأدب قال زيد بن ثابت: المزاح مع الأهل، والوقار خارج البيت. وبعض الناس ع–ذلك؛ مزاح ضحاك مع زملائه.. وقطوب عبوس مع أهله في بيته.

وقال بعض الشعراء المسلمين:


سلام أيــــــها الأم الــــــحنـــــــون
ويا أم الـــــــــرجال الشجـــــــــون
فأنت ولـــــودة الأبطال نحـــــــــمي
عفافك بالجمـــــاجم لا يهـــــــون

وقال أديب عصري يدافع عن المرأة أما الحضارة الزائقة المزعومة:

أخرجوها من العفاف إلى الســــــــوق
وشقوا جلبابها بالمخـــــــــاصــــر
جعلوها علي المجـــــــــــلات رمزاً
للهراء المـــــــفضوح بكف فاجــــر
وادعوا أنهم بها قد حرروا الجيـــــل
وقد مزقوا الحياء بالخناجـــــــــر

دخل أحد الحكماء على ملك من الملوك فوجد طفلة الملك جالسة عند الملك، فقال الملك: سمعت أن الناس يقولون إن البنات يقربن البعيد ويبعدن القريب ويقطعن الأرحام.

قال الحكيم : كلا أيها الملك، والله إنهن رياحين القلوب، أتين بالرجال وحملن بالأبطال..درر مكنونة ومطارف مصونة.. يقمن على المريض ويذكرن الميت.. رحيمات بالأولاد خدومات للأجداد.. حجاب عن النار وكنز في السواد.
وقد قال صلي الله عليه وسلم : ((من عال جارتين فرباهن وأحسن إليهن وزوجهن كن له حجاباً من النار))، فالحجاب من النار تربية البنات في البيت على تعاليم الكتاب والسنة.

قال أبو الطيب المتنبي وهو يرثي أخت سيف الدولة:

ولو كـــــان النساء كمـــــــن عرفنا
لفضلت النســـــــاء علـــــــى الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيـــــــب
ولا التذكير فخـــــــــر للهـــــــلال
يقول : لو كان النساء مثل أختك يا سيف الدولة فضلت النساء على الرجال. ففي الرجال من لا يساوي قلامة ظفر من امرأة، وفي النساء من تساوي ألف رجل.

لماذا نهتم بالمرأة؟

لماذا ندافع عن المرأة؟ لأنها مظلومة ظلمت من المجتمع الجاهلي الوثني الشركي في الجزيرة العربية.. فحرموها الميراث والرأي وجعلوها عقيماً عن حمل المبادئ ، واستخفوا بها وعملوها كما عاملتها الحضارة الغربية والثقافة المادية تماماً.

فأي مصيبة حلت بالمرأة في جاهليتها؟ مصيبة دهياء لا يعلمها إلا الله.

وهي مظلومة من الوضع الكافر الذي نعيشه الآن يوم أخرجوا المرأة بعد الحرب العالمية الثانية لتقود الدبابة والطائرة، وتأخذ السلاح وتحمل الكلاشنكوف ، وتصارع الأبطال ، وتقاتل في ساحة المعركة، وتكون جندية مرور.

إنها والله أمور تدل على أنهم ما قدروا المرأة حق قدرها وخذلوها في أعظم شيء

تملكه وهو العفاف والحياء والطهر.

والمرأة مظلومة من بعض الآباء لأن كثيراً منهم لا يعرق قدر المرأة ولا يستشيرها ولا يعتبر رأيها، ومنهم من كان حجر عثرة في زواج ابنته، فإذا ما تقدم الكفء رفضه برأيه هو لا برأيها .. ولا يخبرها، حتى تعيش العنوسة والأسى.

وهي مظلومة أيضاً من بعض الأزواج .. فهو يتعامل معها كأنها دابة في البيت..فلا احترام ولا رحمة ولا سماع رأي ولا مناقشة بالتي أحسن، ولا حقوق ، وإنما هو يراها من صنف آخر ويتعامل معها بفظاظة وغلظة.

والله عز وجل يدافع عن المرأة لأن المرأة من المسلمين المؤمنين ..قال سبحانه وتعالي:)إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا)(الحج: الآية٣٨).

والرسول صلي الله عليه وسلم يدافع عن المرأة منذ أعطاها حقوقها وسن لها صلي الله عليه وسلم ما لها من حق في كثير من المناسبات. ولكن المجتمع لما جهل الفقه في الدين، وجهل الكتاب والسنة، حدث فيه أشياء يستغربها العقلاء، فمثلاً:

منها: أنهم يقولون في المجالس إذا ذكر أحدهم المرأة(المرأة أكرمكم الله)!!فهذا الجاهل وهذا الأحمق، ظن أنه إذا ذكر المرأة دنس الأسماع أو المجلس فيقول: (أكرمكم الله)، فهذه كلمة خاطئة وحرام أن ينطق بها وأن تقال.. وعلى من حضر المجلس وسمع أن ينكر بأشد الإنكار.

ومنها: أن بعض الناس يجد غضاضة ويجد احتقاراً ويجد نقصاً بأن يتكني لاسم البنت أو المرأة ، فيأنف أن نقول له : (يا أبا فاطمة)و(يا أيا أسماء) و(يا أبا خديجة) ، وهذا خطأ وقد تكني الصالحون ببناتهم، والأبطال في المعارك.

وكان كثير من السلف يسمي الرسول صلي الله عليه وسلم ويكنيه(أبا الزهراء)، أي فاطمة البتول بنت الرسول صلي الله عليه وسلم التي يقول فيها محمد إقبال شاعر الباكستان:

هي بنت من؟ هي أم من؟ هي زوج من؟
من ذا يســـــاوي في الأنـــام علاها
أما أبوها فهـــو اشرف مرسل
جبريل بالتـــوحيد قـــد ربـــاها
وعلى زوج لا تســـل عنه سوي
سيفـــاً غـــدا بيمينـــه تياها
وقال شوقي:

أبــا الزهـــراء قد جاوزت حدي
بمـــدحك غير أن لي أســـاء

وكان صناديد العرب ينتسب الواحد منهم لأمة ليزداد شرفاً وفخراً بصفتها أنها عفيفة وشريفة وأنها محترمة.

قال الشاعر ــ وهو جرير ــ :

فمـــــا كعب بن مامة وابن سعدي
باشرف منك يا عمر الجـــــــوادا
تعود صالـــــح الأخـــــلاق إنـــي
رأيت المرء يلـــــــزم ما استعـــادا
عليكم ذا الندي عمـــــر بن ليلي
كريـــــم المال قد سبق الجـــــــوادا

وعمر بن ليلي هو عمر بن عبد العزيز ، وكان يرتاح إذا قالوا له: يا ابن ليلي.

وكان عثمان رضي الله عنه يرتاح في مجالسه إذا قالوا له يا ابن أروي.

ودخل النابغة الذبياني على النعمان بن المنذر ومدحه في قصره أمام الناس وأثني عليه وعلى حكومته في المناذرة وهم ملوك العرب وقال:

ولا عيب فيهـــــــم غير أن سيوفهـــــــم
بهن فلـــــــــــول من قراع الكتائب
توارثنا من أزمان يوم حليمـــــــــــــة
على اليـــوم قد جربنا كـــــــل التجارب

فيقول : من عهد جدتكم حليمة وسيوفكم تقطر دماً من أعدائكم! فارتاح وأعطاه الجائزة.

وكان قطري بن الفجاءة كنيته(أبو نعامة) وهي بنته، وقيل فرسه، والصحيح أنها بنته، فكان إذا حمي الوطيس خلع خوذته من على رأسه وقال: (أنا أبو نعامة).

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يسمي النساء بأسمائهن.. وكان الصحابة يتداولون أسماء نساء الصحابة ، وبنات الصحابة، وأخوات الصحابة، لأنها ما دامت شريفة وعفيفة وطاهرة فهي جزء من المجتمع.
دخلت زينب امرأة ابن مسعود والحديث في الصحيحين واستأذنت على الرسول صلي الله عليه وسلم ، وكان بلال بالباب ، فقال صلي الله عليه وسلم : ((من بالباب))؟

قال: امرأة ابن مسعود..فأذن لها.

وفي الصحيحين أن أم هانئ أخت على ابن بن أبي طالب استأذنت فقال صلي الله عليه وسلم ((من))؟

قالت: أم هانئ.

قال: ((مرحبا بأم هانئ)).

ونحن نعرف قائمة نساء الصحابة.. نعرف اسم امرأة أبي بكر وعمر وعلى وعثمان والعشرة وأهل بدر وشعراء الصحابة . ولكن لما طال الأمد أنف بعض الناس أن تذكر أسماؤهن.

ومن الأخطاء المعاصرة في حق المرأة: عدم سماع رأيها وفكرها.. ويرون أن المرأة لا تأتي برأي صائب! ويقولون : إن شارت عليك المرأة برأي فخالفها!

وهؤلاء مخطئون.. بل كثير منهن في رأيهن البركة والخير الكثير، والرسول صلي الله عليه وسلم كما في الصحيحين استشار الجارية عن عائشة وعن عفافها، وعن سترها ، فأشارت على رسول الهدي صلي الله عليه وسلم ، فكيف بالعاقلات الكبيرات المؤمنات الداعيات المحترمات.

ومنها: حرمانها الميراث، وهذه مأساة تعيشها المجتمعات البدوية والقروية والقبلية .. ويرون من العيب أن تذهب المرأة وتطلب ميراثها من أهلها، ويندون بمن يفعل ذلك، وهم المخطئون، وعلى هؤلاء أن يؤدبوا تأديباً رادعاً يزجرهم هم وأمثالهم، وأن ترفع قضاياهم للمحاكم الشرعية حتى يؤخذ بحقهم الإجراء اللازم لأنهم خالفوا شرع الله ورفضوا الكتاب والسنة.

ومنها: تحجيم دورها في الولادة والإنجاب.. فيفهم بعض الجهلاء أن دور المرأة أن تنجب ، وأن تحمل ، وأن تضع الطعام، وأن ترضع فقط، وأما غير ذلك من الحياة ليس لها مجال في ذلك. وهذا خطأ ، لأن لها التربية ولها أن تعلم البنات، ولها أن تدعو، ولها أن تشارك برأيها، ولها أن تشارك بدعائها، ولها أن تقوم على أطفالها، ولها أن تخرج الزعماء والقادة والشهداء والصالحين.

ومنها: إتعابها بالعمل وتكليفها فوق الطاقة. وهذا يوجد في المجتمع البدوي والقروي والقبلي، فيجعلونها تكدح كدحاً لا يعلمه إلا الله ، حتى كأنهم لا يتصورون لها طاقة محدودة وأنها ضعيفة، وأنها تحمل وتضع، وأنها تعاني الأمرين، فتشارك في الزراعة والحراثة وفي رعي الأغنام وفي صنع الطعام وفي كنس البيت وفي غير ذلك، حتى تبقي تعمل الساعات الطويلة من العمل المضني الذي لا يعمله إلا عمال المناجم!

وهذا أمر لا يقره الإسلام، فهن لهن طاقة.. وهي امرأة ضعيفة .. وكان صلي الله عليه وسلم يقول: ((الله الله في النساء))، أي إنهن ضعيفات لا يستطعن حمل كثير من الأمور.

ومنها: حرمانها من التعليم في بعض الجهات.. والتعليم عندنا جائز بمواصفات إسلامية وتحت مظلة)إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة:٥).

عن تعليم المرأة ما يقوم بشؤون دينها وما يجعلها خائفة من الله متحجة متحشمة لهو من أفضل التعليم.

وقد علم الرسول صلي الله عليه وسلم الصحابيات. وأتت امرأة فقالت: يا رسول الله

ذهب الرجال بك يجاهدون معك ويحجون معك ويغزون معك، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فجعل لهن صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين يعلمهن في ذاك اليوم ويفتيهن صلي الله عليه وسلم

وفي الصحيحين أنه خطب يوم العيد ثم قال لبلال: ((هيا بنا إلى النساء)) فخطبهن النبي صلي الله عليه وسلم وقال: ((تصدقن ولو بحليكن)) ، أو كما ورد في الحديث.

فقضية أن تبقي المرأة جاهلة لا تعرف القرآن ولا تحفظ كتاب الله عز وجل، ولا تعرف السنة والفقه.. قضية خاطئة نرفضها.

وأما التعليم الفاضح الذي يدعو المرأة أن تشارك الرجل في البرلمان، وأن تشاركه في حقوق الحياة، وأن تخرج متبذلة متكشفة سافرة، فهذا نرفضه وتعتبره تعليماً جاهلياً لا يزيدها إلا رداءة ولا يقودها إلا إلى النار.

نحن نريد تعليماً إسلامياً موقراً مقدساً يقودها إلى جنة عرضها السماوات والأرض كما كانت نساؤنا الأوائل.

فقد كانت عائشة رضي الله عنها عالمة. قال الزهري: كانت عائشة تحفظ من الشعر ثمانية عشر ألف بيت. وكانت تفتي الصحابة في معضلات المسائل. وهناك كتاب ألفه بعض المحدثين اسمه(استدركته عائشة على كبار الصحابة).

وفتاويها جمعت في مجلد كبير وهي مجتهدة ومتطلعة.

وعمرة بنت عبد الرحمن عالمة من عالمات التابعين.

ومعاذة بنت سعيد بن المسيب كذلك.

وكذلك كريمة بنت أحمد شيخة ابن حجر في فتح الباري! روت لأكثر من ستين ألفاً صحيح البخاري، وعالمات كثيرات حملتهن الكتب والسير والتواريخ.

ومنها: وضعها في عمل لا يليق بمكانتها.. كرعيها الأغنام والخروج للاحتطاب، وكذلك تريبها على السلاح والجيش، وفي المرور، وفي مواجهة الناس كالجوازات وعلى المنافذ العامة، وفي المستشفيات، وفي مباشرة الرجال، وفي النوادي الطبية وفي أماكن التمريض. فكل هذا لا يجوز في الإسلام ، فلا بد أن يكون عملها في حقلها مع بنات جنسها لا تري الرجال ولا يرونها.

وقد سألت صحابية رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو حديث حسن: ما أحسن شئ للمرأة ؟ قال: ((أن لا تري الرجال ولا يرونها))، وهي وصيته صلي الله عليه وسلم التي تبقي ابد الدهر خلا للمرأة في دنياها وأخراها.

ومنها : أن أي مشكلة تقع في البيت تجعل من نصيب المرأة، فهي سببها وأساسها، بل تجد في القضايا الشرعية عند القضاة إذا أتي الرجل يتحدث بسط لسانه في زوجته وتكلم

عن ظلمها وعن إساءتها .. وهي خجولة لا تستطيع أن تبدي حجتها فيظلمها ويزيد عليها.

فهي كما قال تعالى: (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) (الزخرف:١٨) .

ومنها: عدم فتح مجالات الدعوة للمرأة ، فينبغي أن يجعل لها محاضرات ودروس لبنات جنسها، أو حلقات تعليمية في القرآن وفي علم الحديث والتفسير والفقه، أو تقوم المرأة كذلك في حيها بجمع جاراتها على درس أسبوعي أو في القرى؛ لأن النساء يعشن في جهل رهيب بالتعاليم الشرعية.. فضلاً عن ما يخطط لهن من الأعداء.

ومنها: توجيه الغزو الفكري والخلقي للمرأة بواسطة المجلات والأفلام. وقد رأيت في بعض الأسواق أكثر من ١٨مجلة تحمل صور المرأة على الغلاف، وهم يعرضون المرأة في باب الجمال فقط، لا يعرضونها من باب الدين، أو أنهم يشيدون بعقلها أو بمكانتها أو بمستواها العلمي أو بذكائها أو بمصداقيتها أو بطهرها، إنما بجانب الجمال المتهتك!!

وأيضاً مجلات الأزياء تحمل أحجاماً كبري في تفصيلات الموضات الجديدة والأشكال والطرازت الحديثة في لباس المرأة وفي زيها.

وأيضاً مجلات الخياطة والتفصيل ، فهناك مقاسات كاشفة فاضحة عارية تعرض في البيوت.

أيضاً الأغاني التي أمطرت بها الأسواق وأحرج بها الناس.

أيضاً فقد جعلت المرأة في كثير من الأماكن وسيلة للدعاية كوضع المضيفات مثلاً.

وكذلك سكرتيرات في بعض المكاتب، وفي بعض السفارات، وفي بعض المنتديات والنوادي ، وكذلك في الفنادق وأماكن تجمع الناس.

ومنها: أن الكثير من الناس يدعون إلى التعدد ولا يذكرون العدل بين الزوجات الذي هو الأهم. فإن كثيراً من المحاضرين والدعاة يدعون الناس إلى أن يعددوا وأن يكثروا من الزوجات، ولكن لا يذكرون في محاضرة واحدة.. العدل بين الزوجات، فإن هذا أهم.

ولذلك وجد من تزوج بثانية فأهمل الأولي تماماً، فجعلها ليست مطلقة ولا متزوجة، وإنما معلقة، وجعلها كأنها خلقت هكذا لا اعتبار لها في الحياة.

ومنهم من ظلم حتى أنه يعطي هذه ثلاث ليال وهذه ليلة !.

ومنهم من لا يعدل في النفقة، ولا في الخلق، ولا في السكني، ولا في الطعام، ولا في غير ذلك مما يجب العدل فيه.

ومنها: مطالبة المرأة بحقوق الرجل دون ذكر حقوق المرأة على الرجل. فتجد كثيراً من الناس يطلبون من المرأة أن تؤدي حقوق الرجل كاملة غير منقوصة..أما حقها فلا يذكر!.

ومنها : التعامل معها بعنف وفظاظة إلى درجة الضرب حتى إن بعضهم يعلق(مشعاباً) في بيته!.

وهذا ظلم وإثم عظيم.. وقد قال صلي الله عليه وسلم : ((قد طاف بأبيات آل محمد نساء يشتكين من أزواجهن، وإن أولئك ليسوا بأخياركم أو من خيرتكم))، أو كما قال صلي الله عليه وسلم .

فمن يفعل ذلك ليس من خيرة الناس وليس من صفوتهم.

جاءت فاطمة بنت قيس إلى الرسول صلي الله عليه وسلم واستشارته في ثلاة تقدموا لها: (ابو الجهم، ومعاوية بن أبي سفيان، وأسامة بن زيد).

فقال: ((أما معاوية فرجل صعلوك لا مال له))

((وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه))، أي أنه يضرب نساءه.

((وأما أسامة فرجل خير، أنكحي أسامة)).

قالت: فتزوجت أسامة فاغتبطت به.

فالضرب ليس حلاً شرعياً إلا في مواطن ذكرها الله ــ عز وجل ــ في كتابه، وأن يكون ضرباً غير مبرح، وهو أن لا يكون مؤذياً، ولا يكون في الوجه ولا على البطن أو مكان حساس.

قيل لأحد القضاة ــ وكان يحب زينب امرأته وجلست معه أربعين سنة ــ: اضربتها في حياتك؟

قال: والله ما مددت يدي عليها.

ثم أنشد:

رأيت رجــــالاً يضربون نســـــــاءهم

فشلت يميني يوم اضرب زينبـــــا

ومنها: اشتغال كثير من الناس في أمور الحياة.. وترك المرأة بلا حقوق، والرسول صلي الله عليه وسلم يقول: ((إن لأهلك عليك حقاً)).

ومنها: التجريح للنساء بكلمات بذيئة كاللعن والشتم.

والكثيرات منهن تتوهم أن اللعن طلاق وأنها تخرج من عصمته، والصحيح أن اللعن

كبيرة من الكبائر.. وعليه أن يستغفر ويتوب.

ومنها: إفشاء سر المرأة وخصوصيات حياتها مع زوجها، والمرأة إذا أفضت إلى زوجها أو أفضى لها بحديث خاص لا يصح أن ينشر.

ولكن تجد بعض الناس لبرودته وقلة شهامته، ولانخلاعه وقلة غيرته، يخبر زملاءه ،إخوانه بماذا قالت له!

وقد حذر صلي الله عليه وسلم من هذا، ووصف أولئك أنهم من أقل الناس مروءة ، أو كما قال صلي الله عليه وسلم .

أيها الإخوة الكرام! هذا دفاع بسيط عن المرأة في حقوق قد أثبتها لها الإسلام، فلعلنا أن نكون خير نصير لهن، وأن نبتعد عن تلكم الصفات المذمومة التي ذكرتها لكم.. وأن تعطي المرأة حقوقها كاملة.

والله أعلم وصلي الله على نبينا محمد.

لبيك أختاه

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد..

يا فتاة الدين يا بنت الحجاب   أنت في أوطان أسما والرباب

أنت من يحفظ الله لها عرضـــ   ـــها بين الأفاعي والذئـــــــــاب

استري وجهك عن حر اللظي   وارتدي في زمن الفسق الثياب

وانعمي في ظل دين خالد   رددي يا أختنا أم

أتي صلي الله عليه وسلم بالنور .. وهذا النور لا يكون إلا في شرعه.. في الوحي المقدس الذي نزل به جبريل على الرسول صلي الله عليه وسلم ،) وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)(النور: من الآية٤٠).

وشارك في هذا النور المرأة والرجل جنباً إلى جنب، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً)(النساء: الآية١).

إذا الرجال والنساء.. يستقبلون النور من الله عز وجل ويتطهرون ويحملون الإيمان ويتعبدون لله عز وجل بإياك نعبد وإياك نستعين.

إذا..الرسالة للرجال والنساء.

إذا التكريم للجميع.. إذا.. حمل هذه المبادئ للذكر والأنثى، قال سبحانه :)فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى)(آل عمران: الآية١٩٥)، فتشارك الأنثى الرجل في الاستجابة لدعوة الله عز وجل،)إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)(الأحزاب: الآية٣٥) ، إنه عالم خالد يشارك فيه الصنفان والنوعان والفريقان، ويوم تطمس معالم النور ولا تهتدي المرأة إلى طريقها الحق، حينها تظل وتصبح لا قيمة لها في الحياة.

يقول(زولا) أديب الجنس الفرنسي وهو يهتك بالمرأة: إنها لا أثر لها في عالم الحياة! ويشكك الناس في المرأة هل هي إنسان أم حيوان!!

تعالي الله عما يقول ذاك المجرم.. بل هي المطهرة أم العلماء وأم القادة وأم الفاتحين وأم الزعماء..أليست هي أم عمر وطارق وأم صلاح الدين؟ أليست هي أم أحمد وأم الشافعي وأم أبي حنيفة وأم مالك وابن القيم؟ أليست هي المربية التي يحفظ الله بها سبحانه وتعالي الجيل ويرعى بها البيت يوم تحمل لا إله إلا الله؟ ويوم تتجه إلى الله متحجبة طيبة ورعة.

إن الإسلام قد رعي المرأة رعاية شاملة، فالرسول صلي الله عليه وسلم أعلن حقوقها في عرفات ونادى الناس صلي الله عليه وسلم وهو يقول : ((الله الله في النساء، فإنهن عوان عندكم))، وكان يقول صلي الله عليه وسلم : ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)).

فعاش صلي الله عليه وسلم مع المرأة زوجاً وأخاً وابناً وأباً. وأكرمه الله عز وجل بأربع بنات، وعشن معه كثيراً ، بينما أبناؤه من الذكور كانوا يموتون في الصبا. وكانت بناته صلي الله عليه وسلم يسكن قلبه.. فكان إذا سافر زار فاطمة وإذا عاد بدأ بها.

وتقول عائشة كما في البخاري: كان صلي الله عليه وسلم إذا زار فاطمة قامت له وقبلته وأجلسته مكانها، وإذا زارته قام لها وقبلها وأجلسها مكانه. أي عطف، وأي حنان، وأي شفقة، وأي رحمة تلك؟

جاء الإسلام ليجعلها متحجبة كالشمس في الغمامة.. وكسماء المزن، وكالدرة في الصدف، فأبي المجرمون إلا أن يخرجوها سافرة متهتكة تتبع الأزياء وتبيع نفسها وتكون للدعاية.

إن العرب قبل الإسلام كانوا لا يعترفون بالمرأة المتهتكة.

نظر أعرابي إلي امرأته فوجدها تنظر إلى الأجانب، فغضب وتركها وفارقها. وقال:

إذا وقع الذباب علي طعـــــام رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود مــــــاء إذا كان الكلاب ولغن فيه

وفي عالم اليوم أراد الإسلام للمرأة المسلمة العفيفة أن تخرج من حجابها والتزامها بدينها.. أن تخرج لتختلط بالرجال وتزاحمهم وتلاقيهم

وتضاحكهم.. كل هذا بدعوى التحضر والتنور.

واستخدموا لذلك وسائل كثيرة على مر السنين الماضية، كان من أخطرها ..مجال الإعلام.

فبعد أن تمكنوا من إخراج المرأة في بعض الدول العربية والإسلامية الأخرى.. أرادوا لهذا البلد أن ينضم للركب.

فسخروا كل قواهم لنشر الفاحشة وإشاعتها بين نسائنا.

فابتدأت المجلات المفسدة بالحملة الشرسة ضد المرأة في المجتمع السعودي.

وتولت كبر هذه الحملة.. مجلة(سيدتهم) المذمومة ، فبدأت في طرح المقابلات مع بعض النساء السعوديات، والتركيز على مسألة التذمر من القيود الإسلامية على المرأة في هذا المجتمع.. ويسمونها (تقاليد) ! أو (عادات)!

وتوالت المقالات والمقابلات والكلمات والسخريات . ولكن كل ذلك مكتوب عند رب السماوات وسيجازى كل عامل بعمله.

ومهمتنا في هذه الأوراق أن نبحث سوياً عن حل لمواجهة مثل هذا الغزو المكثف .. لعل الله أن يرد كيدهم في نحورهم.

فما هي موانعنا أما هذا الزحف؟ وكيف نتقي هذا الإجرام.. وهذا الكفر والزندقة؟

نتقي ذلك بأمور:

١- بتقوى الله عز وجل .. فلا حافظ لنا إلا الله.

تقوي الله عز وجل بامتثال شرعه واجتناب نهيه. والمرأة يوم تتقي الله لا تأتي بالأعمال المحرمة الفاتنة.

وتقوى الله تتضمن تذكر الآخرة بأهوالها، وتذكر أول ليلة توضع فيها هذه المرأة في قبرها .. وما سيواجهها في تلك الليلة من مفزعات.

كان بعض الصالحين إذا ذكر أول ليلة أغمي عليه. وهي ليلة مرعوبة، تكون المرأة مع زوجها ومع أهلها ومع أولادها متزينة ساكنة، فيخطفها الموت وتنقل إلى أول ليلة، إلى مكان لا أنيس فيه ولا حبيب ولا صاحب، ثم يظهر لبعضهن ــ والعياذ بالله ــ أنها خانت زوجها وخانت ربها وخانت أسرتها وخانت أمتها وخانت كتاب ربها وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم .. فيا للعار ويا للدمار ويا للخسار ويا للنهاية المؤلمة الأسيفة.

قال تعالي: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (البقرة: ٢٨١).

المـــــــوت فاذكره وما وراءه	فمنـــــــــه ما لأحد براءه
وإنه للفيصـــــــــــل الذي بـــــه	ينكشف الحـــــال ولا يشتبه
إن كان خيــــــــراً فالذي من بعده	أفضل عنــــــد ربنا لعبده
وإن يكن شــــــــــراً فما بعد أشد	ويل لعبد عن سبيل الله صد

هذه قضية كبرى، لعل المرأة أن تتأمل وأن تفكر طويلاً فيها.. يقول تعالي:)وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُم)(الأنعام: الآية٩٤).

٢-من الموانع: الحجاب الشرعي. هذه الشامة العظيمة التي أتي بها صلي الله عليه وسلم .. وهذه القيمة للمرأة والتي لا يملكها أي مجتمع آخر غير المجتمع المسلم.. بل إن بعضهم بدأ يطال بها لما رأي فوائدها.

ففي فرنسا بدأت الفرنسيات ينادين بالحجاب لأن الشعب يعي إلى الدمار والهاوية. فالأعراض مزقت، والمرأة لم تصبح لها مكانة، والمجرمين تعدوا الحدود..وأصبح الإنسان لا يجد مكاناً للعيش الآمن. والحجاب الذي أعنيه يتضمن تغطية وجه المرأة ويديها ؛ لأنها إن لم تغط وجهها ظهر للناظرين.. وظهرت زينتها وفتنتها.

وللأسف أنه يوجد من اكتفين فقط بتغطية الرأس وتعلقن ببعض الأدلة الواهية، وخرجن في الشوارع وخالطهن الرجال. وإن هذه كارثة ومخالفة لدين الله عز وجل.. إن هذا أول الهدم.. وأول الشرود عن منهج الله عز وجل.

ومن كانت في شك فلتراجع كتب أهل العلم ولتراجع الأدلة والبراهين.

٢-الدعوة في سبيل الله والدعوة إلى منهج الله، أي تكون المرأة داعية مؤثرة..وإنني أشكر كل الشكر داعيات كثيرات في ب-ا بدأن في إرسال الكلمة بالتأثير على أخواتهن بواسطة الهاتف..بواسطة المراسلة.. بواسطة المحاضرة..وبواسطة إهداء الشريط الإسلامي. فعفا الله عمن فعلت ذلك. فوصيتي أن تنبعث المرأة داعية مؤثرة في بنات جنسها وفي من حولها.. وتكون حاملة لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم .

إن العلماء قدموا جانب الشباب والرجال، لكن القطاع المهم وهن النساء يحتجن لداعيات، يحتجن إلى مخلصات طيبات صادقات.. يوصلن كلمة الحق إلى القلوب ويتكلمن عما يراد بنا.

والعجيب ! أن بعض الكاتبات في الصحف يكتبن كلاماً ضاراً ويدعين إلى أمور تخالف دين الله..فأين الملتزمات؟

٣- الزواج..فالله عز وجل سن الزواج سنة كونية بين الذكر والأنثى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً)(الرعد: الآية٣٨) لتحفظ الأعراض ..وتحفظ الأنساب .. وتحفظ السر.

لتكون الأمة شريفة عفيفة مطهرة.

وقد وجد في مجتمعنا من يعارض زواج المرأة البكر.. أو يتباطأ في تزويج بناته بحجج واهية، مما أنتج انتشار ظاهرة العنوسة.

والرسول صلي الله عليه وسلم يقول: ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه وإن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)).

فعلى المرأة أن تتزوج إذا وجدت الكفء.

وعند الطبراني بسند حسن: ((من تزوج فقد أحصن نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر)).

وعلى المرأة أن لا تصدق هذه الدعوات التي نسمعها التي تنادي المرأة بعدم الزواج حتى تنتهي من الجامعة أو الماجستير!!فلا تتزوج حتى يذهب جمالها وشبابها فلا تصبح مرغوبة مطلوبة. وتضيع عمر الحياة الزوجية وعمر البيت وعمر الأطفال الذي هو من أحسن ما يكون ، والذي هو سر السعادة بعد الإيمان وبعد العمل الصالح.

ووصيتي أيضاً: نشر الفكر في جانب النساء والفتيات بأن لا يتأخرن في الزواج، فإن العنوسة مأساة.

واسأل الله عز وجل الهادية والثبات والسداد والرشد والعون، وأن يحفظنا من كل مكروه.. ومن كل سوء .. ومن كل من يريد بنا فساداً وشراً ، وأن يكفينا إياه بما شاء.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

هموم فتاة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيتها الأخت المسلمة المؤمنة ، يا صانعة الأجيال، وأم شباب الإسلام والقواد والعلماء

والزعماء، إنك مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالي عن دورك في الحياة.

لماذا خلقت؟ ولماذا أوجدت؟ ولماذا سرت على وجه الأرض؟

والرسول صلي الله عليه وسلم هو الذي أتي بمهمة المرأة في الحياة، فجعلها أماً وزوجة وأختاً ومعلمة ومربية وراعية وحافظة.

وفي هذه الأوراق باقة ورد أريد أن أنثرها على راس كل فتاة وامرأة تريد الله والدار الآخرة. فهناك عدة مسائل يجب التحدث فيها إلى الأخوات والأمهات.

المرأة والإيمان

لقد خاطب الله الناس جميعاً ذكوراً وإناثاً، فقال سبحانه وتعالي بعد أن ذكر الصالحين الأبرار وذكر الفسقة الأشرار: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)(آل عمران: الآية١٩٥).

ويقول سبحانه وتعالي:)إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ)(الأحزاب: الآية٣٥)، فالله عز وجل ذكر المرأة الصالحة القانتة الحافظة للغيب بما حفظ الله سبحانه وتعالي.

وأتي رسولنا صلي الله عليه وسلم فتحدث عن المرأة المسلمة ودورها في الحياة، وأوصي بها خيراً لأنه يعلم أنها شقيقة الرجل وأنها هي التي تقوم على النشء وتربي الأطفال وتخرج العلماء والشهداء.

يقول صلي الله عليه وسلم في الحج الأكبر: ((الله الله في النساء فإتهن عوان عندكم))، ويقول صلي الله عليه وسلم : ((استوصوا بالنساء خيراً))النبي صلي الله عليه وسلم وصح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال : ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

وفي صحيح البخاري(أن أسماء بنت عميس أتت إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: ((غلبنا عليك الرجال، يحجون معك ويجاهدون معك ويصلون معك، فاجعل لنا يوماً من نفسك) . وهنا بوب البخاري على ذلك بقوله: (باب أن يجعل العالم يوماً للنساء من نفسه)، فأعطاهن صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين.

وقد رزق صلي الله عليه وسلم أربعاً من البنات كالنجوم، حافظات للغيب بما حفظ الله، (فاطمة وأم كلثوم وزينب ورقية).

وكان صلي الله عليه وسلم إذا أراد سفراً ودعهن، وإذا أتي من سفر بدأ بهن.

يأتي إلى فاطمة في الليل الدامس ويزورها ويقول لها ولعلي: ((ألا تصليان، ألا أدلكما على خير لكما من خادم، تسبحان الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان الله ثلاثة وثلاثين، وتكبران الله أربعاً وثلاثين)).

فهو يربي ابنته فاطمة على تقوي الله وعلى التسبيح والعبادة والتحميد وعلى الاتصال بالحي القيوم.

يقول محمد إقبال في فاطمة بنت الرسول صلي الله عليه وسلم :

هي بنت من؟ هي أم من ؟ هي زوج من؟ — من ذا يساوي في الأنام علاها

أما أبوها فهو اشرف مرســــــــــــل — جبريل بالتوحيد قد ربــــــاها

وعلى زوج لا تســـــــــــــــوي — سيفاً غدا بيمينه تيــــــــــاها

عاشت في بيت النبوة فرضعت الإيمان والقرآن، فإن كثيراً من النساء يتحلون بالذهب والفضة، ولكنهن فقدن الفضيلة والعفاف وغض البصر والإيمان.

فقدن رضا الله، وفقدن محبته ، وفقدن ستره، وفقدن الحياة الرغيدة . لأنه لا أمن ولا استقرار للمسلم ولا للمسلمة إلا بهذا الدين، (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤))قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً) (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (طـــه:١٢٤ـــ ١٢٦).

وعليك أن تتأملي قصص الصالحات ..وتقرئي أخبارهن لعلك أن تحاكيهن في طريق الخير.

وإليك بعضاً من تلكم القصص والأخبار:

١- **امرأة فرعون:** آسية رضي الله عنها وأرضاها. لا إله إلا الله وآمنت وملأت قلبها بالإيمان . أطاعت الرحمن، وزجها دجال فاجر كافر القي على وجهه في النار.

تقول لله في رجاء ودعاء عجيب : (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(التحريم: الآية١١) .

قال ابن القيم عليه رحمة الله : طلبت الجار قبل الدار . فقد طلبت جوار الواحد الأحد وسكني جنة عرضها السماوات والأرض لأنها قد ملت من قصور فرعون.. لأنها قصور ملعونة ودار ملعونة وأرادت جوار الله عز وجل، فسجل الله اسمها في الخالدين وذكرها في العارفين ، وأبقي اسمها في العالمين يدوي في كتاب رب العالمين سبحانه وتعالي.

٢- **أم أنس:** عندما أتي صلي الله عليه وسلم إلى المدينة بحثت رضي الله عنها عن هديه تهديها لرسول الله صلي الله عليه وسلم ، فما وجدت إلا ابنها وحبيبها

وفلذة كبدها أنس ..فغسلته وألبسته وطيبته، وذهبت به وعمره عشر سنوات وقالت: يا رسول الله (أنس) ابني وأحب الناس إلى، أهديه لك يخدمك طيلة الحياة ، فادع الله له، فقال صلي الله عليه وسلم : ((اللهم أطل عمره وكثر ماله وولده واغفر ذنبه)).

وذهبت المرأة المؤمنة مهرها في الإسلام أعظم مهر.

فمهرها الإسلام. فقد تقدم لها أبو طلحة وهو مشرك يريد الزواج منها فقالت: أنت مشرك وأنا مسلمة والله لا أتزوج بك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال: اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وسجد لله فتزوجته فكان مهرها الإسلام.

فقالوا : ما سمعنا بمهر في الجاهلية ولا في الإسلام أعظم من مهر أم سليم رضي الله عنها وأرضاها.

٣- الخنساء: ربت أبناءها الأربعة على طاعة الله وحفظتهم القرآن وعلمتهم السنة وقادتهم إلى المسجد.

فلما أتت معركة القادسية ذهبت إلى أبناءها الأربعة وقالت لهم: البسوا أكفانكم ! فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، فأوصتهم وقالت: يا أبنائي والله ما خدعت أباكم ولا غررت خالكم، إذا حضرتم المعركة فتيمموا أبطالها واقتلوا في سبيل الله لعل الله أن يقر عيني بشهادتكم في سبيله.

وهكذا المرأة المسلمة الصالحة التي تربي أبناءها على الإسلام والقرآن وعلى عبادة الواحد الأحد، وتربي بناتها على الحجاب ومخافة الله وعلى مراقبة الله وعلى سيرة رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فحضر أبناء الخنساء المعركة وقتلوا في سبيل الله.. وبشروها فتبسمت وقالت: الحمد الذي أقر عيني بشهادتهم في سبياه!

فيا أختي المسلمة نحن أحوج ما نحتاج أن تدخل الإيمان بيوتنا.

والإيمان يكمن في الصلوات الخمس للأبناء والبنات، وأن نرعاهم بالتربية ، وأن نرضعهم مع اللبن لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فالأم جامعة كبري، يوم تصلح يصلح الله بها الدين ويربي بها الأخيار والأبرار.

ويوم تفشل يفشل بها المجتمع ويأتي هذا الاعوجاج الخطير الذي نعيشه في مجتمعنا هذه الأيام.

فيا أمة الله، أسألك بالله أن تتقي الله في دين رب العالمين وفي رسالة محمد سيد المرسلين.

يا أمة الله الحجاب! الحجاب!

يا أمة الله، اتقي الله في الأبناء والبنات.

يا أمة الله، اتقي الله في الزوج.

المسائل المهمة للمرأة المسلمة

أولها: حقوق الزوج التي سنها رسول الله صلي الله عليه وسلم وذكر الله أصولها في القرآن.

وهي: طاعته في طاعة الله، وإرضاء الله عز وجل، وحفظه بالغيب يوم يسافر ويغيب عن البيت، وحفظه في السمع والبصر، وفي الفراش وما استحفظك الله عليه.

وإن أمانة الله على المرأة أمانة عظيمة: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْأِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب:٧٢)
وأمانتها أن تحفظ زوجها إذا غاب عن بيتها:) حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ)(النساء: الآية٣٤)، ومن حفظها ألا تتطلع بعينها إلى الأجانب ولا تنظر إلى المحرمات:)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُن)(النور: الآية٣١).

ثانياً: اعلمي أيتها الأخت المسلمة أن جمال المرأة، وروعة المرأة وحسن المرأة، هو تقواها لله، لا في ذهبها ولا في ثيابها ولا في حليها ولا في بيتها.

وإنما كل الجمال أن تتقي الله، وأن تغض طرفها، وأن تحفظ ما استحفظها الله تبارك وتعالي عليه.. حينها تعيش حياة الأمن والسكينة.

إذن هو جمال التقوى الذي يريده الله سبحانه وتعالي.

ثالثاً: حق الزوجة على زوجها أن يتقي الله فيها، فهي ضعيفة لطيفة تريد الحنان وتريد الرحمة وتريد البر.

فوصيتي إلى الرجال أن يتقوا الله في أمهات الأجيال، وأمهات الأبطال، وأمهات العلماء والزعماء والشهداء ، رحمة وحناناً ورقة ومحافظة ونفقة وكسوة وتعاهداً، كما قال صلي الله عليه وسلم يوم الحج الأكبر يوم أعلن حقوق المرأة وحقوق

الإنسان: ((الله الله في النساء)).

رابعاً: وجد في الساحة من ينادي بتحرير المرأة ! ومعني تحرير المرأة عندهم أن تخرج سافرة متبرجة.. وأن تبيع عرضها لكل مشتر..وأن تبيع قيمها وأخلاقها وسلوكها وأن تهتك عرضها.

وهذا والله خيانة عظمي لرسالة محمد صلي الله عليه وسلم أن تتحرر المرأة من دينها وأصالتها وحجابها وسترها.

إذن فالذي ينادي بالتحرير وبالسفور وترك الحجاب إنما ينادي بهدم سنة محمد صلي الله عليه وسلم ، وينادي بنسف القيم التي أتي بها رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فيا أختي المسلمة إياك ، إياك.. أن تسمعي لهذا الناعق الشرير.

فإنه يريد أن يقضي على ديننا وعلى كرامتنا وعلى أعراض أخواتنا وأمهاتنا وبناتنا وزوجاتنا) قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(التوبة: الآية٣٠).

خامساً: وهي تتعلق بمجالس المرأة .. فالذي يلاحظ على كثير من النساء هو كثرة الغيبة والنميمة وقول الزور إلا من عصم الله، ولسان المرأة إلا من رحم ربك سريع في نهش الأعراض، ولذلك يقول صلي الله عليه وسلم للنساء في يوم العيد: ((تصدقن فإني رايتكن أكثر أهل النار))، قالت امرأة : يا رسول الله ما بالنا أكثر أهل النار؟

قال: ((تكفرن العشير ، وتكثرن اللعن ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن)).

فوصيتي يا أختي المسلمة أن تتقي الله في مجالسك وأن تعرفي من تجالسين.

فكما في الرجال أخيار كذلك في النساء خيرات، وفي النساء شريرات ، وفيهن مغتابات ومزورات وحقيرات.

فاتقي الله وأحبي الصالحات، واعمري وقتك بذكر الله وتلاوة القرآن ، وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر،)أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) (المؤمنون:١١٥/١١٦).

فهل أدخلت الكتاب الإسلامي بيتك؟ وهل أدخلت الشريط الإسلامي دارك؟ وهل استمعت إلى الدعوة والتلاوة والمحاضرة والدرس؟ وهل سبحت الله كثيراً؟ وهل هدى الله على يديك امرأة مسلمة ، أو فتاة مؤمنة، فكانت في ميزان حسناتك عند الله؟

سادساً: الحرص على العلم الشرعي،)فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)(محمد: الآية١٩) ،) يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)(المجادلة: من الآية١١)) قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)(الزمر: الآية٩) ، (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً)(طـــه: الآية١١٤).

)شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران:١٨)

العلم الذي تريد هو العلم الذي يدلك على الصلاة والصيام والحج وعلى مخافة ومراقبة الله وعلى تقوي الله.

فنحن في حاجة إلى علم شرعي ترقي به المرأة ، لا علم الفضلات وعلم الحواشي، ولا العلم المضيع للعمر، بل العلم الذي يدل على تقوي الله وكيف تربين أبناءك.

والحياء لا يمنع المرأة المسلمة أن تسأل عن أمر دينها. تسأل العلماء والدعاة وطلبة العلم لتكون على بصيرة، وتتعلم كتاب الله وتجلس في مجلس الخير، وتحفظ سور القرآن وتلم إلماماً مجملاً بالفقه الإسلامي لتعبد الله على بصيرة،)أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)(الأنعام: الآية١٢٢)

سابعاً: هناك بعض المغريات طرحت في الساحة الإسلامية وفتكت بالمرأة المسلمة فتكاً ذريعاً وضل بسببها كثير من الفتيات هداهن الله إلى سواء السبيل.

منها: الأغنية الماجنة التي انتشرت وكانت سبباً في حدوث الجريمة والفاحشة والزنا..لأن أهل العلم يقولون : (الغناء بريد الزنا).

وعقوبات الغناء أربعة:

أولها: قسوة القلب وإعراضه عن ذكر الله عز وجل، فلا تجد رجلاً أو امرأة يدمن الغناء إلا وقلبه قاس لا يستفيد من الخير كما قال تعالي:)فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ)(المائدة: الآية١٣).

ثانياً: وجود وحشة بين العبد وبين الله، فلا يجد رقة ولا حباً ولا خشوعاً.. لأنه قطع الصلة بينه وبين الله.

ثالثاً: أنه يحرم في الجنة سماع الغناء الذي يجعله الله للمتقين وللأبرار الصالحين، ولذلك عند أحمد في المسند أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال: ((إن في الجنة جواري يغنين يقلن نحن الناعمات فلا نباس ، نحن الخالدات فلا نبيد، طوبى لمن كنا له وكان لنا)).

قال ابن القيم:

قال ابن عباس ويرسل ربنـــــــــا	ريحاً تهز ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمــــــــع الإ	نسان كالنغمات في الأوزان
يا خيبة الآذان لا تتعــــــــوضي	بلذاذة الأوتار والعيــــــــدان

رابعاً: ومما تورثه الأغنية كذلك أنها تحبب الفاحشة والجريمة. وقد قال كثير من أهل العلم والفضلاء والنبلاء ومن لهم خبرة واستقراء للمجتمعات: أن أكثر من يقع في جريمة الزنا اللواتي يسمعن الغناء والذين يستمعون الغناء.

فالله الله في مقاطعة هذا الغناء الماجن، فإنه والله محرم.

يقول الله سبحانه وتعالي:)وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّه)(لقمان: الآية٦)

ويقول صلي الله عليه وسلم كما عند البخاري عن أبي موسى الشعري: ((ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف)).

وصح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((إني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة، وصوت عند مصيبة))، وفي لفظ : ((صوت عند نغمة)).

ومن المغريات التي أضرت بالمسلمة: المجلة الخليعة التي راجت، كمجلة سيدتهم والمجلات الأخرى.

وهذه المجلات هدمت جيلنا، وأظلمت قلوب شبابنا، وخربت بيوتنا، وصرفت هممنا عن طريق ربنا وعن سنة نبينا صلي الله عليه وسلم .

وكذلك الفيديو المهدم وما أحدثه في البيوت من إرباك، وما أحدثه من ضلالات، وما أحدثه ممن ثقافات وجرائم ومن مشكلات.

فوصيتي لكن هي تقوي الله واجتناب ما لا يفيد في الدار الآخرة.

ثامناً: وكذلك من الأمور التي يجب التنبه عليها والتطرق إليها أن بعض النساء أو الفتيات أو الشابات أحجمن عن الزواج ورفضته بحجج واهية.

منها: مواصلة الدراسة.

ومنها: أنها لا تريد الإضرار بضرائر قبلها وشريكات.
ومنها: أنها تريد أن تختار زوجاً فيه مواصفات معينة قد لا توجد في الناس، بأن يكون زاهداً عالماً عابداً حافظاً قائم الليل مجاهداً زعيماً.. وهذه قد تنتظر طويلاً حتى تجد إنساناً بهذه المواصفات، وقد لا يأتي.

فوصيتي لبنات الإسلام أن يعلمن أن في الزواج حفظاً ورعاية وحياة سعيدة.

وامرأة بلا زواج كأنها لم تعش الحياة إلا ناقصة.

ورجل بلا امرأة لا يعيش الحياة بحب ولا طموح.

ولذلك الله تعالي يقول:)وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّة)(الرعد: الآية٣٨)

فمن سنة الله في الحياة أن هيأ المرأة لتكون زوجة، وهيأ الرجل ليكون زوجاً، وما علمنا الصدود عن الزواج إلا في غلاة الصوفية الذين يعيش أحدهم بلا زوجة ويتمدح أمام الناس ويقول : ما تزوجت.

وتقول الصوفية الغالية أنها ما عرفت الزواج!

ويوم أن ترفض الفتاة الرجل الصالح قد يعاقبها الله عز وجل فلا تجد زوجاً.

فالله الله في الحرص على الزواج والاستقرار.

تاسعاً: اعلمي أختي المسلمة أن الإسراف ظاهرة شائعة لدينا.

إسراف في الملابس، وإسراف في الطعام، وإسراف في الأشربة، وإسراف في أثاث البيت.

فأين الدين؟ واين تقوي الله؟

بل وجد من بعض النساء الجاهلات السفيهات أنها تلزم زوجها في كل مناسبة وفي كل حفل أو زواج بلبس جديد وحلى جديد! وحينها يغضب عليها وتنقطع العلاقة بين الزوج وزوجته..

يقول تعالي:)إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً) (الاسراء:٢٧)
ويقول:)وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) (الفرقان:٦٧)
فالاقتصاد ! الاقتصاد! واعلمن أن جمال المرأة في عفافها وفي اقتصادها وزهدها وفي طاعة ربها وفي رضاء زوجها عنها.

صح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا صليت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها)).

فهنيئاً لك يا أم الأبطال ، ويا أم العلماء والشهداء، هنيئاً لك تقوى الله.

إنها دعوة من القلب، وإنها باقة ورد إلى فتاة الإسلام أهديها ثانية وثالثة لعلها أن تجد أذناً صاغية وقلباً واعياً. ولعلها أن تجد من يستمع لها ويعمل بها، فقد جاءت ذكرى وقد وصلت فهل من مستمع؟ وهل من مجيب؟

والله أعلم..وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

فتاة مفجوعة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

واشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وعلى وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً.

هي فتاة صرخت برسالة سوف أعرضها لكم وأعلق عليها.

وهذه الرسالة مكونة من ثلاث عشرة صفحة من القطع الصغير كتبتها هي بنفسها وسألتني في آخرها بالله أن أقرأها على الناس. ولكني أطلب منها العذر ..لأنني لن أقرأها كاملة..بل حذفت بعض الكلمات ولم أزد ولو حرفاً واحداً.

والحقيقة أن في النساء كثيرات هن خير من كثير من الرجال. يقول المتنبي وهو يرثي أخت سيف الدولة:

فلو كان النساء كمن عرفنـــــا	لفضلت النساء علي الرجـــــــال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب	ولا التذكيـــــــر فخـــــر للهلال

ألبي نداء هذه الأخت وهي تصرخ وتقول بأن معها المئات يعانين مشكلتها ويعشن في مثل ظرفها، والله المستعان.

لبيك صوتك في المسامع يصدع	وصراخك المحزون فينا يسمع
ودموعك الحرى تمزق أضلعي	والكل من هذا الندا متوجــــــع

وأنا أتذكر أثناء للرسالة قوله صلي الله عليه وسلم : ((رفقاً بالقوارير))، فالرسول يطلب الملاطفة لرقة المرأة وإحساسها الجياش.

*** الرسالة:**
فضيلة الشيخ فلان بن فلان السلام عليكم ورحمة الله، سمعت محاضرتك رسالة إلى الفقراء أو من الفقراء، وتلك الرسالة التي كتبتها لك الأخت الغيورة بل المقهورة من ظلم واستبداد والدها، فحركت شجوني التي ما سكنت ، وجراحي التي أبداً لم تلتئم ، وحزني المضني القاتل النبي صلي الله عليه وسلم فأمسكت قلمي ومداده دم قلبي ودمع عيني، وكأنما بصيص من الأمل يتراءى لي من بعيد، وإلا فو الله ثم والله ثم والله الذي لا إله إلا هو، إني قد يئست من كل شيء إلا من رحمة الله، فهي الشيء الوحيد الذي يعزيني ، فأنا واثقة بل موقنة ومؤمنة برحمة الله،) إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)(لأعراف: الآية٥٦) .

ذلك أنني يا شيخي الفاضل ووالدي الكريم وأخي الرحيم، عشت مأساة وما زالت أعيشها، واسأل الله الواحد الأحد الفرد الصمد أن يرفع عني عذابه، فإن هذا عذاب أوقعه على

الله وابتلاء.

يا أيها الداعي الكريم، إليك مأساتي وأيامي السوداء..إليك الظلم والقهر الذي أعيشه.. إليك معاناتي أنا وأخواتي في الله، وإن كانت لكل مأساة لكنها في النهاية تصب في قالب واحد وهي أننا بلا أزواج ولا أطفال..بلا حياة بلا أرواح.. أجساد بلا قلوب، حياة قتلها الألم والحزن.

سأطيل عليك ووقتك ثمين، لكن تحمل لأنك تحملت أعباء أكثر من هذه الرسالة.

أنا أعمل معلمة.. وفي آخر كل شهر يفتح الجابي! والدي يده ويقول: ادفعي الجزية! فأنت ومالك لأبيك.

والجابي يعلم منذ أن كنت طالبة أن محصولي سوف يصب عنده، فكلما طرق بابي طارق قال له: ليس بعد(أي كلما خطبها خاطب رفضه والدها من أجل الراتب)!

وأقنعه كثير من أهل الخير ولكنه ما اقتنع، فيذهب إلى الخطاب ويقول : هي لا تقبلك ولا تريدك.

وعاطفتي تريد الزوج والأسرة والمنزل الهادئ السعيد ، وأريد طفلاً يمنحني الأمومة ويطغي على كل مشاعري.

توسط لديه الأعمام والأجداد، لكنه رفض وتعلل بالعلل الباردة.

كنت أميل إلى الالتزام وأصارع نفسي وأجاهد الهوى والشيطان، فنصرني الله عز وجل على كثير من المعاصي، فقد تركت الغناء انتصاراً ، وداومت على السنن الرواتب والوتر وانتصرت في أكثر من موطن.

تقول أخيراً: أحضر أحد عمومتي رجلاً فزوجني والدي وأنا مكرهة، لأن هذا الرجل لا يخاف الله وهو ليس صالحاً..فكان والدي يقول: لا تعطي راتبك زوجك وأعطينيه! ! أصبحت أجاهد زوجي وأعينه على الطاعات والالتزام، فذهب واشتكي إلى والدي!

قالت: وأنا اصبر على الزوج وأدعوه إلى الهداية وأتحمل الضرب منه والأسى لأنني لو عدت إلى والدي لكان حاله أدهى وأمر.

وبعد معاناة مع الزوج مريرة..طلبت الطلاق.. لكنه رفض وقال: ردي على مهري كي أطلقك.

فقلت : لا مهر لك عندي.

فأصر.

فجمعت له ما أراد وأعطيته إياه وهربت إلى بيت أبي، فغضب والدي وهددني ويريد تزويجي لأي إنسان يتقدم ولو كان سكيراً عربيداً.. أو عجوزاً في الستين أو السبعين!!

فهربت إلى أمي. فجن جنونه، ثم ذهب يشكوني إلى إدارة التعليم.

ووالله ثم والله ثم والله، لقد كلمني مدير التعليم في منطقتي وقال: لقد حضر والدك وتهدد وتوعد بالويل والثبور وطلب منا فصلك!!

سبحان الله ما هذا العداء؟! فرده مدير التعليم.. ولكنه أصر على رأيه بفصلي وسيذهب إلي الرياض لهذا المقصد! فماذا أفعل؟..هل أتزوج من يريد؟ أم أعيش مطردة مفصولة في بيت والدي.

تقول: أنتم المسؤولون أيها الدعاة والعلماء وطلبة العلم عن هذا الظلم الذي يمارسه آباؤنا، أين رحمة الإسلام التي تتحدثون عنها؟ أينكم عن هذه الفئات الشاذة في المجتمع؟

ثم أين هم الشباب الملتزمون الذين يبحثون عن امرأة صالحة!

فما بالهم لا يتقدمون إليهن وهن كثيرات خلف الستور قد حجبهن أب ظالم، فما بالهم لا يبحثون عنهن؟ أم أن الشروط الدقيقة في جمال المرأة هي التي صرفتهم عن هؤلاء عن هؤلاء الفتيات! هل يرضيهم أن تعيش هؤلاء الفتيات بين أحضان زوج فاسق فاجر لا يرعى حق الله ولا حق الدين؟ هذه رسالتي عرضتها عليك يا شيخ لعلي أن أجد لديك الحل..ولعلك وإخوانك تتحركون لنصرتي والسلام عليك.

وأنا أقول: هذه هي الرسالة قد قرأتها أمامكم وحذفت منها ما استطعت أن أحذف.

والحقيقة أنها رسالة مذهلة لمن كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد.

ويعلم الله أنها ليست غريبة على لما أسمع في الهاتف من معاناة أمهات وبنات وأخوات..ومن رسائل واستفسارات وأسئلة.

وهي تبين أن في المجتمع شريحة لا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون ولا يتدبرون ولا يعون.

وتبين أن عندنا في المجتمع أناس قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، يقول سبحانه وتعالي:)فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) (محمد:٢٢/٢٣) ، فكأنهم ما قرأوا سيرة المعصوم صلي الله عليه وسلم وهو يقف مع ابنته المريضة فيبكي.

وإذا سافر مر ببناته يودعهن، ويعود من السفر فيبدأ ببناته.

تقول عائشة : كانت فاطمة رضي الله عنها إذا دخلت على الرسول صلي الله عليه وسلم قام واستقبلها عند الباب وجلس معها صلي الله عليه وسلم بل كان يجلسها مكانه.

ويقول محمد إقبال عن فاطمة الزهراء:

هي بنت من؟ هي أم من؟ هي زوج من؟ من ذا يساوي في الأنام علاها
أما أبوها فهو أشرف مرسـل جبريل بالتوحيد قد ربـاها
وعلـي زوج لا تسل عنـه سوى سيفاً غدا بيمينه تيـاها

ومع ذلك اسمعوا لمعانتها، وهذه القصة في صحيح البخاري:

أراد على رضي الله عنه أن يتزوج على فاطمة .. وله ذلك، فاختار بنت أبي جهل وقد مات أبوها.

فذهبت الشائعة إلى فاطمة في البيت.. فذهبت فاطمة إلى أبيها المعصوم سيد البشر وأكبر زعماء الدنيا محرر الإنسان وجلست تبكي.

فقال: ((ما لك؟)).

قالت: يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك..وأخبرته بالخبر.

فقام صلي الله عليه وسلم وجمع الناس وصعد المنبر وعلى بن أبي طالب في الجماهير.

فقال: ((أيها الناس، أنا لا أحل حراماً ولا أحرم حلالاً ، ولكن بلغني أن علياً يريد أن يتزوج بنت أبي جهل عدو الله، ووالله الذي لا إله إلا هو، والذي نفسي بيده لا تجتمع بنت عدو الله وبنت حبيب الله تحت سقف واحد.

إن فاطمة يربيها ما يربني، ويغضبها ما يغضبني..)) ثم تزل.

فقام على بن أبي طالب فطلق بنت ابي جهل في المسجد.

فكل منا يتصور أن التي كتبت الرسالة هي ابنته، فسيأتيه من الأسى والألم واللوعة ما الله به عليم. وهي في الحقيقة قد حملت الدعاة والعلماء مسؤولية كبيرة.. وهي بلا شك صادق في ذلك.. فلا يكفي منا أن ندبج المحاضرات ونتفوه بالكلمات.. بل لا بد من إيجاد حل أو شفاعة لمثل هؤلاء الفتيات.

فقد كان محمد صلي الله عليه وسلم لا يكتفي بالكلام فقط وإنما يذهب ويشفع بنفسه.

وقصته مع (جليبيب) مشهورة..فجليبيب أحد الصحابة الفقراء .

قال له صلي الله عليه وسلم : ((يا جليبيب ألا تتزوج؟)).

قال: يا رسول الله من يزوجني؟ لا أهل لي ولا مال ولا نسب.

قال: ((أذهب إلى آل فلان وأبلغهم سلامي وقل لهم: رسول الله يأمركم أن

تزوجوني!)).

لا إله إلا الله! أسمعتم شفاعة في التاريخ أعظم من هذه الشفاعة؟

فذهب جليبيب وطرق الباب.

قالوا: من؟

قال: جليبيب.

قالوا: ماذا تريد؟

قال: رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرئكم السلام ويقول: زوجوني ابنتكم!

فتشاور الرجل هو وامرأته ، فجليبيب لا أهل له ولا مال ولكن كيف يرفضان طلب المعصوم؟

فسمعت الفتاة حديث جليبيب فقالت: الرسول صلي الله عليه وسلم يأمركم وترفضان؟!

سبحان الله! ألا تخافان من غضب الله، أنا أجيب.

قالا: فقد أجبنا.

وتزوج جليبيب ورزقه الله فتية، ثم حضر المعركة مع الرسول صلي الله عليه وسلم وقتل سبعة ثم قتلوه.

فقال الرسول صلي الله عليه وسلم : ((تفقدوا القتلي)) فتفقدوا ونسوا جليبيباً.

قال: ((هل بقي أحد؟)).

قالوا: لا

قال: ((لكني أفقد جليبيباً)).

وقام صلي الله عليه وسلم وبحث عنه فوجده قد قتل سبعة وقتلوه.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((أنا منك وأنت مني!)).

فلماذا لا يتولى الدعاة والمشايخ فكرة تزويج الشباب بالفتيات الصالحات..كما فعل صلي الله عليه وسلم ؟

ثم نخاطب هذا الأب الذي أذاق هذه الفتاة المرارة.

نخاطب فيه إيمانه إن كان فيه إيمان: كيف يقابل الله غداً وهو يتعامل مع ابنته بهذا التعامل؟

هذا لا يجوز مع الكافرة، فكيف بابنة صلبه؟

فمن رأي منكم أباً هذا حاله فليناصحه..ويعترف بحاله ليوجه ويرشد لأنه جاهل. وبجهله هذا وظلمه قد وقف حجر عثرة في طريق ابنته أو بناته وهو لا يشعر.

أمر آخر يجب العناية به .. وهو غلاء المهور الذي ازداد وتجاوز حده، حيث اصبح الشاب الراغب في الزواج يتلكأ كثيراً قبل أن يبحث له عن زوجة خشية من هذه التكاليف المرهقة.

فهذا نداء إلى أولياء الأمور بأن يسهلوا زواج بناتهم ويخففوا تكاليفه..فليس مقصدنا اللباس الجميل أو الحلي أو السيارة .. وإنما ليكن مقصدنا الزوج الصالح الذي مع بناتنا بيتاً سعيداً.

وأمر آخر موجه للفتيات.. وهو أن لا تتعذر الواحدة منهن وتحجم عن الزواج بهدف مواصلة الدراسة.. فالزواج لو عقلت أهم من الدراسة. فالزواج بيت وزوج وأولاد ومستقبل حياة.. وأما الدراسة فعرض زائل، وإن صرت فلتشترط على الزوج إكمال الدراسة مع التسديد والتشاور.

وأما رفض المتقدمين بهذه الحجج الواهية فهو تعري للمجتمع للفتن كما أخبر بذلك صلي الله عليه وسلم في قوله: ((إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)).

فلا بد من اجتماع الشرطين الدين والخلق.. فقد يجتمع الدين دون الخلق والإحسان للزوجة، بأن يكون سئ الخلق معها.

وهذا لا يستغرب وجوده في من فيه دين، بل قد وجد في زمانه صلي الله عليه وسلم كما في حديث فاطمة بنت قيس لما شاورته صلي الله عليه وسلم في زواجها من معاوية أو أبي الجهم أو أسامة فقال في الحديث: ((أما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه))، قيل في أحد تفسيراته : أنه يضرب المرأة دائما. والشواهد كثيرة.

وقد يكون خلوقاً لكنه لا يصلي أو فاسق .. فلا تتعجل بالزواج منه لأنه فقد الركن الأعظم..بل لا بد من الدين والخلق.

ونصيحتي للشباب أن يتنازلوا عن شئ من شروطهم الشديدة بل والتفصيلية ، لأنهم لن يجدوا بغيتهم بسهولة،) وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ)(البقرة: الآية٢٦٧).

ومن الأشياء التي نبهتنا إليها الرسالة هذه الفتاة.. هي: كثرة العوانس في البيوت دون أن يدري بهن أحد.

فكيف نعالج هذه المشكلة؟

الحل عندي في أشياء:

١- أن يعرض الأخ أو الأب بناته على الصالحين بطريقة أو بأخرى.
٢- أن يتولى بعض الناس الثقات التوفيق بين الشباب والفتيات كما فعل هذا بعض طلبة العلم، فوفقهم الله بتوفيقهم بين المسلمين والمسلمات لبناء كيان إسلامي جديد كانوا هم سببه.
٣- أن لا تضجر أو تهرب النساء من التعدد، لأنه سنة الرسول صلي الله عليه وسلم ومخرج لنا من هذه المشكلة لو تم حسب ما يريده الإسلام.

أخيراً .. هذه المشكلة وهذه حلولها ..وليتها تتحول إلى عمل واقعي في المجتمع بدلاً من كلمات على ورق.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

صفات المؤمنات

الحمد لله رب العالمين ، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد..

فهذه رسالة حول بعض الصفات التي يجب أن تتحلى بها المرأة المسلمة.

واخترت هذا الموضوع لثلاثة أسباب:

أولها: كثرة الفتن التي طمت وعمت.

السبب الثاني: تقصيرنا دعاة وعلماء وطلبة في جانب المرأة.

السبب الثالث: لعل الله أن ينفع بهذه الرسالة.

إذا علم ذلك فقد قال صلي الله عليه وسلم لفاطمة في أول أيام الدعوة : ((يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئاً))، متفق عليه.

وأنا أقول لكل امرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر: أنقذي نفسك من النار، فإننا لا نملك من الله شيئاً.

قال صلي الله عليه وسلم في الصحيح : ((رأيت النار فإذا اكثر أهلها النساء)).

قالت امرأة: يا رسول الله ما بال النساء؟

قال: ((يكفرن)).

قيل: يكفرن بالله؟

قال: ((يكفرن العشير، ويكثرن اللعن، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط)).

وقال صلي الله عليه وسلم : ((اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أكثر فتنة بني إسرائيل في النساء))، حديث صحيح.

وقال صلي الله عليه وسلم : ((ما تركت بعدي فتنة أصر على الرجال من النساء)) أو كما قال صلي الله عليه وسلم .

إذا علم ذلك فهناك نماذج أوجدها الله من المؤمنات على مر التاريخ من أن خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هناك مؤمنات مسلمات قانتات خاشعات حافظات للغيب بما حفظ الله، منهن على سبيل العرض قبل أن آتي إلى موضوع (سارة) زوجة إبراهيم عليه السلام، فقد كانت عابدة لله منيبة مخبتة، أسلمت وجهها للواحد الأحد فعصمها وحماها من الفواحش.

ذهب إبراهيم عليه السلام مع زوجته سارة إلى مصر، وكان على مصر ملك طاغية فاجر، فلما رأي سارة أراد أن يأخذها غصباً من إبراهيم.

فلما دخل إليها توضأت وصلت وفوضت أمرها إلى الله، وسألت الواحد الأحد أن يعصمها من هذا الفاجر.

فكان كلما قرب منها لا يستطيع حيث تخذله رجله، وبعد محاولات قال: إنما قربتم لي شيطانة ، خذوها.

وأعطاها جارية.

فقالت لإبراهيم : كفانا الله الفاجر وأخدمنا جارية.

وهذا درس للنساء أن من اعتصمت بالله واتكلت على الله والتجأت إلى الله عصمها الله وحمي عرضها واسلم قلبها للواحد الأحد.

ومنهن (هاجر) امرأة إبراهيم عليه السلام أيضاً أم إسماعيل، فهي موحدة منيبة قانتة عابدة.

خرجت مع إبراهيم إلي مكة.

فتركها إبراهيم في مكة ثم ذهب.

فقالت: إلى من تتركنا يا إبراهيم؟

قال: إلى الله.

ومن اكتفي بالله كفاه، ومن احتمي بالله حماه، ومن ألتجأ إلى الله آواه.

قالت: أمرك الله؟

قالت: نعم.

قالت: إذا لا يضيعنا.

فلما مضى قال: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (ابراهيم:٣٧) .

فرزقهم الله الثمرات كما نري حيث لا يجوع جائع في مكة.

فالحجاج لا يموتون من الجوع.

وهوت إليها قلوب الملايين من البشر.

فلما ظمئ ولدها قامت تبحث عن الماء، وسعت سبعة أشواط بين الصفا والمروة في الوادي.

فرفس ابنها برجله فخرج الماء.

فأخذت تحول الماء وتقول: زم زم.

قال صلي الله عليه وسلم رسولنا وحبيبنا يعلق على القصة: ((رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت معيناً)).

وفي قصتها دروس للمرأة أن تتوكل عليه سبحانه.

فشب إسماعيل وتزوج امرأة لكنها كانت قليلة التوكل على الله لا تلتجئ إلى الله، فقيرة القلب.

فهي مثل بعض النساء لو جمعت لها مال الدنيا وذهب الدنيا وفضة الدنيا وملابس الدنيا فهي دائماً تشتكي الضيق والفقر.

فأتي إبراهيم عليه السلام يزور ابنه من أرض العراق حيث كان يجوب الدنيا ينشر التوحيد.

فلما وصل إلى مكة وجد إسماعيل قد خرج إلى الصيد في أرض نعمان فوق عرفات.

فطرق الباب، فخرجت هذه المرأة ، فقال إبراهيم: آبين زوجك؟ ــ وهي لا تعرفه ــ .

قالت: يصطاد.

قال: كيف حالكم؟

قالت: في بؤس وفي فقر وفي مسكنة وفي ضنك.

قال: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام(والسلام ما يعرفه إلا الموحدون لأن الجاهلية من حولهم) وقولي له يغير عتبة الباب.

ثم ذهب إبراهيم عليه السلام.

فجاء إسماعيل في المساء فقال: هل أتاكم من أحد؟

قالت: أتانا شيخ كبير يتوكأ على عصا وسألني عنك فأخبرته عن حالنا فأقرأك السلام وقال: غير عتبة الباب.

قال: هذا والدي وأنت عتبة الباب! الحقي بأهلك.

فتزوج بغيرها.

فأتي إبراهيم بعد وقت فطرق الباب.

فخرجت المرأة الصالحة المنيبة الذاكرة، فسألها عن زوجها.

فقالت: في الصيد.

فقال: كيف حالكم؟

قالت: نحن في أحسن حال وفي أرغد عيش وفي سعة من الله وفي نعمة من الله وفي هناء.

قال: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له يثبت عتبة البيت.

فأتي إسماعيل فسألها فأخبرته.

فقال: هذا أبي وقد أمرني بإمساكك..لأنك صالحة.

وأما امرأة عمران عليه السلام فقد طائراً ومعه ولده فقالت: يا رب ارزقني ولداً.

لأنه الذرية مكسب عظيم، لكن أفضل العمل الصالح.

فحملت بحمل فتمنت أن يكون ولداً، ونذرت لله إن أنجبت أن يكون خادماً لبيت المقدس.

فأتت بمريم فقالت: (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)(آل عمران: الآية٣٦)، ما أحسن الكلام.

(فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)(آل عمران: الآية٣٧)

فأصبحت خيراً من كثير من الرجال.

وأصبحت عابدة يأتيها رزقها في الصباح والمساء كرامة من الله.

وأتت بعيسى ابن مريم الذي هو من أولي العزم من الرسل عليه السلام، فكان قرة عين لها.

وأما خديجة زوجة محمد صلي الله عليه وسلم فهي أول امرأة في تاريخ الدعوة.

وقد سكبت دموعها وعرقها لنصرة هذا الإنسان العظيم الذي قاد سفينة الحياة إلى شاطئ النجاة.

أتي صلي الله عليه وسلم من الغار في أول لقاء حار مع جبريل وهو يرتعد ويقول: ((زملوني زملوني)).

فقالت: كلا والله لا يخزيك الله، إنك تصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف.

فهي مثال للمرأة التي تخفف عناء الحياة عن زوجها وتعينه على مواجهة صعوباتها.

بخلاف المرأة التي تجعل من الحبة قبة، وتولول على أدني حادث أو خبر.

قال صلي الله عليه وسلم في حديث صحيح: ((يا خديجة إن جبريل يقرئك من الله

السلام ويبشرك ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب)).

أي لا ضوضاء فيه ولا تعب.

قالوا عنها: كانت من أعقل النساء في تاريخ الدعوة.

وكانت تاجرة، فدفعت مالها لمحمد صلي الله عليه وسلم ليكون لها أجر بدايات هذه الدعوة.

* صفات المرأة المسلمة:

هي عشر صفات إذا وجدت في المرأة فلتبشر بجنة عرضها السماوات والأرض.

فنحن شهداء الله في أرضه.

مر على الرسول صلي الله عليه وسلم بجنازتين فشهدوا للأولي بالإيمان فقال: ((وجبت)).

والثانية شهدوا عليها بالسوء فقال: ((وجبت))

فسألوا .

فقال صلي الله عليه وسلم : ((الأولى أثنيتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة، والثانية أثنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار، أنتم شهداء الله في أرضه)).

الصفة الأولي: إيمانها بالله تبارك وتعالي الذي يصاحبها في الليل والنهار، في الحل والترحال، وهي قائمة أو قاعدة أو على جنبها.

إيماناً يجعل رقابة الله أقرب إليها من حبل الوريد.

فتتذكر الله سبحانه وتعالي في الخلوة والجلوة، وفي السر والعلن، والضراء والسراء.

قال سبحانه: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)(التوبة: الآية٧٢)، فأفرد المؤمنين رجالاً وأفراد المؤمنات نساء، ليدلل سبحانه وتعالي على أن المؤمنات مخاطبات بهذا الدين.

وقال سبحانه:)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً) (مريم:٩٦)
قال بعض أهل العلم: (ودا) خاصاً بينهم وبين الله.

وقالوا: (وداً) في قلوب الناس.

والمرأة المسلمة يجعل الله لها (وداً) في قلب كل مسلم إذا سمع بصلاحها وبتقواها.

وقال سبحانه:)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (الكهف:٣٠)
فأول صفات المؤمنة أن تتصل بالله دائماً وأبداً ، وأن تربي الإيمان في قلبها وأن تزرعه بالذكر والنوافل والتفكر والتأمل في آيات الله عز وجل.

ولتعلم أن الحياة ليست ذهباً وفضة.

والحياة ليست زوجاً.

لأن المرأة قد تعيش بلا زوج وبلا ذهب وبلا فضة إذا كان معها الإيمان والعمل الصالح، وهي السعيدة الناجية بإذن الله.

لكن إذا أخلت بالصلوات الخمس وبطاعة الله وبفرائضه وبالحجاب فو الله لو سكنت في قصور الدنيا واستخدمت أفخر السيارات وألذ المطعومات لكانت هذه الأمور عليها لعنة ومقتاً وغضباً من الله.

قال سبحانه:) أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(الرعد: الآية٢٨).

حياة لا يجدها إلا المؤمن.

فبعض الناس يعيشون في قرى وقد آمنوا بالله عز وجل.

ويجدون كأن لذة الدنيا جمعت لهم، فهم في فرح وحبور وسرور.

وغيرهم يسكنون في ناطحات السحاب ولكن معهم الضنك والهم والضيق.

لماذا؟

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤))قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (طــه:١٢٤/١٢٦)
فهو عهد من الله أ من آمن وعمل صالحاً أن يحيه حياة طيبة، وأنه من أعرض عن ذكره أن ينكد عليه حياته ويغلق عليه الأبواب.

وقال سبحانه: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (آل عمران:١٩٥)
هذا جزاء المؤمن والمؤمنة من الواحد الأحد، ويناقض ذلك الكفر والعياذ بالله، لأن الله أخذ على نفسه عهداً أن يعذب كل كافر وكافرة، وكل منافق ومنافقة.

والمنافقة هي التي تكذب بالصلوات أو لا تصلي، أو تكذب بشيء من الرسالة، أو تخون زوجها في الخفاء وتظهر بالخشوع والنسك والاستقامة وهي خائنة لله ولرسوله.

الصفة الثانية: لزوم بيتها وعدم تبرجها.

لأن أهل الهدم يريدون أن تخرج المرأة المسلمة خاصة في هذه البلاد التي قامت على الكتاب والسنة، فولاة الأمر فيها يأمرون بالكتاب والسنة.

وأولئك يريدون أن تتبرج المرأة وان تسفك حياءها وأن تكون كما كانت المرأة في أمريكا وبريطانيا وروسيا، سلعة ممجوجة حيث أدخلوها كل مجال من مجالاتهم ولو كان لا يناسب طبيعتها ، كالورش والمصانع ونحوها.

فتركت بيتها وأطفالها ودينها وعرضها.

أما امرأتنا فهي من نوع آخر.

امرأتنا درة مصونة.

امرأتنا يقول الله فيها: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)(الأحزاب: الآية٣٣)، أي لتقر المرأة وتجلس في بيتها فهو مأواها.

قيل لفاطمة في حديث يروي عنها: ما أحسن وصية للنساء؟

قالت: ألا تري الرجال ولا يرونها.

وفي السنن عنه صلي الله عليه وسلم في حديث حسن: ((إذا خرجت المرأة من بيت زوجها متعطرة متزينة فهي زانية)).

وقال صلي الله عليه وسلم : ((صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها خير من صلاتها في بيتها)).

فمثلاً صلاتها في غرفة النوم خير من أن صلي في البيت الوسيع في جانب من جوانبه.

وصلاتها في بيتها خير من صلاتها في المسجد، ولو أنه صلي الله عليه وسلم قد قال: ((لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)).

ولكن لزوم بيتها وسترها وعفافها وعرضها أعظم لها عند الله عز وجل أجراً.

فالواجب على المرأة أن تلزم وصية الله ووصية رسوله صلي الله عليه وسلم بأن لا تخرج من بيتها.

قالت العرب: لا يعصم المرأة إلا ثلاثة : زوجها أو بيتها أو قبرها.

ويوم أن تخرج المرأة فمعناه الضياع والعياذ بالله.

الصفة الثالثة: غض بصرها وحفظ نفسها، قال سبحانه: (وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَان)(النساء: الآية٢٥).، أي أصدقاء ، كما يحدث في البلاد الغريبة الكافرة،حيث لا بد أن يكون لها صديق غير الزوج.

وقال سبحانه وتعالي: () حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ)(النساء: الآية٣٤)، فهي تحفظ زوجها إذا غاب عنها.

قال صلي الله عليه وسلم يوم عرفة يوم أعلن حقوق الإنسان، ويوم أعلن مبادئ الإنسان وحقوق المرأة قال: ((ولا يوطئن فرشكم من لا ترضونه))، أي لا تستقبل أحداً في غيابكم إلا محارمها.

وقال سبحانه:)وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِن)(النور: الآية٣١) ، يعني عند الريبة والشهوة فهي تغض بصرها ولا تنظر إلي الرجال.

فلتحرص المرأة على عدم كثرة النظر إلى الرجال.

الصفة الرابعة: حفظ لسانها من الغيبة والنميمة.

قال سبحانه: (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ)(الحجرات: الآية١٢).

واكثر ما ينتشر بين النساء والعياذ بالله هو الغيبة وكثرة اللمز والطعن بالآخرين وخاصة من النساء.

فلا بد للمرأة أن تحفظ لسانها من تلكم الآثام التي قد توردها النار كما أخبر صلي الله عليه وسلم ، وأن تكون مستقيمة في أقوالها وسديدة في كلماتها.

)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) (الأحزاب:٧٠/٧١).

صح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يدخل الجنات قتات))، وفي رواية صحيحة : ((لا يدخل الجنة نمام))، وهو الذي ينقل الكلام، وتدخل المرأة طبعاً في النهي عن ذلك، بل هن أكثر من الرجال في هذا الذنب، وهو نقل الكلام والنميمة بين الناس كما هو ملاحظ.

الصفة الخامسة: حفظ سمعها عن الغناء والخناء وما في حكمه.

والعناء محرم عند علماء الإسلام، ومن احتج علينا ببعض الفتاوى الهابطة التي لا تستند إلى دليل احتججنا عليه بالكتاب والسنة.

والتحريم هو مذهب الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة.

قال سبحانه :)وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)(لقمان: الآية٦).

وقال صلي الله عليه وسلم في البخاري: ((ليكونن أقوام من أمتي يستحلون الحر والحرير والخمر والمعزف))، واستحلالها إنما يكون بعد التحريم.

وعند ابن خزيمة بسند صحيح قال صلي الله عليه وسلم ((إني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة، وصوت عند مصيبة)).

ومن استمع للغناء عوقب بثلاث عقوبات:

١-قطيعة ووحشة بينه وبين الواحد الأحد.
٢-أن لا يحب القرآن ولا الذكر ولا الحديث النبوي ولا السيرة.
٣-أن يحرمه الله سماع الغناء في الجنة.

قال ابن القيم:

قال ابن عباس ويرسل ربنا	ريحاً تهز ذوائب الأغصان
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإنـــ	ـــسان كالنغمات بالأوزان
يا خيبة الآذان لا تتعوضي	بلذاذة الأوتار والعيـــــدان

فهذا جزاء من استمع الغناء.

وهو بريد الزنا كما قال العلماء.

فواجب المرأة المسلمة أن تطهر بيتها وسمعها من هذا الخبث لتنعم بسعادة في الدنيا والآخرة.

الصفة السادسة: احترام الزوج والقيام بحقه والحرص على راحته وطاعته في طاعة الله.

ورد في حديث عنه صلي الله عليه وسلم : ((إن المرأة إذا صلت خمسها، وصامت شهرها،وأطاعت زوجها، دخلت جنة ربها)).

من طاعة الزوج إراحته إذا دخل.

والابتسام في وجهه.

وتطيب خاطرة.

وعدم إحداث المشاكل معه.

وعدم تكليفة التكاليف الباهظة في الإنفاق.

وحفظه بظهر الغيب.

والسكوت حينما يتكلم.

وتربية أبنائه على الإسلام.

وعدم مخالفته فيما يأمر.

الصفة السابعة: الاقتصاد في المعيشة وعدم الإسراف في المأكل والملبس والمسكن.

قال سبحانه:)إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً) (الاسراء:٢٧)
وقال سبحانه: (وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)(الأنعام: الآية١٤١)

وقال سبحانه: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) (الفرقان:٦٧).

فواجب على المرأة المسلمة أن تحرص على الاقتصاد في شؤونها وشؤون بيتها ولا تكلف الزوج ما لا يقدر عليه لأسباب تافهة.

فالبيت قد يعيش سعيداً ولو لم توجد فيه كثير من الأمور المعاصرة وجزئيات المخترعات والكماليات.
بل إن كثرة إنفاق الزوج وتحمله قد تجعله يثير المشاكل مع زوجته إلى أن يصل الأمر إلى ما لا تحمد عقباه.
وأن تحرص على إنفاق فضول مالها في الصدقات التي يدخرها الله عنده لها بدلاً من إضاعتها في ما ستسأل عنه يوم القيامة.

أعطي معاوية رضي الله عنه عائشة أم المؤمنين مائة ألف درهم في يوم واحد فتصدقت بها ونسيت نفسها، وكانت صائمة وأفطرت على التمر والماء.

الصفة الثامنة: عدم التشبه بالرجال.

فتحرص أن لا تقلد الرجل في مشيه ولا في كلامه ولا في لباسه أو أي شئ يختص به.

فقد لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال.

ولعن الله الواصلة والمستوصلة ، الواصلة التي تصل شعرها بشيء للتدليس على الناس بأن شعرها طويل، أو تفعل ذلك بشعر غيرها.

والمستوصلة هي التي تطلب ذلك.

ولعن النامصة والمتنمصة، وهي التي تنتف شعر حواجبها فترققه كما تفعل بعض النساء ــ هداهن الله ــ .

وكذا الواشمة والمستوشمة، وهي التي تغرز الإبر فيها الحبر الأسود أو الأحمر في خدها أو في أنفها لتجملها.

وكذا المتفلجة ، وهي التي توجد الفراغات بين أسنانها لأن كل ذلك من تغيير خلق الله.

وما أحسن المرأة إذا رضيت بخلق ربها لها وتجملت بما يحل لها دون أن تلجأ إلى المحرمات التي نهي عنها الله ونهي عنها رسوله كما سبق.

الصفة التاسعة: أن تحرص على الطاعات والنوافل من الصلاة والصيام والصدقة.

نعم!)لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا)(البقرة: الآية٢٨٦).

لأن المرأة أشغالها كثيرة في البيت خاصة مع الأولاد.

لكن لا تنسي نصيبها من ذلك، لا سيما القرآن والذكر لأنه خفيف على اللسان ثقيل في الميزان.

ولا يتأتى لها ذلك إلا بتنظيم وقتها والحرص ألا يضيع هدراً، خاصة وقت السكون والهدوء في الصباح عندا يخلو الجو لها.

ولكن لا يعني التركيز على أمور العبادة أن تصبح المرأة راهبة في البيت لا تعرف إلا سجادتها ، فتضيع حقوق زوجها متعذرة بالطاعات والعبادات.

لا .. فلكل مقام مقال.

بل تحرص على العبادات وتحرص على زوجها واستقباله بالطيب والجمال والنظافة.

قال أحد الشعراء يمدح زوجته:

تضوع مسكاً بطن نعمان إن مشت   به زينب في نسوة عطرات

والنفوس مجبولة على حب الطيب والجمال، فلتفهم ذلك المرأة المسلمة.

الصفة العاشرة: أن تكون آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر داعية إلي الخير في أوساط النساء.

لأن الرجال لا يستطيعون أن يدعوا النساء ويخلوا بهن ويعرفوا مشاكلهن.

أما المرأة فإنها تستطيع أن تغوص في أعماق النساء لأنها مثلهن، فتؤثر فيهن وتجذبهن نحو الخير بواسطة الكلمة والهدية والرسالة ونحوها.

اسأل الله لي ولجميع المسلمين التوفيق، وأن يصلح لنا أزواجنا وذرياتنا ، وأن يجعلهم قرة أعين.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

لا تكفرن العشير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.
أما بعد..

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : ((رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن)).

قال: ((يكفرن الإحسان ويكفرن العشير، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك معروفاً قط))، أخرجه البخاري.

هذا الحديث له مناسبة: أن الرسول صلي الله عليه وسلم خرج يصلي العيد بالناس.

وكان إذا خرج للعيد انتظر قليلاً حتى ترتفع الشمس قيد رمح، ثم لبس لباسه صلي الله عليه وسلم لباس الجمال ولباس التواضع، فمضي إليهم وهم ينتظرونه.

فإذا أطل عليهم بمقدمة المبارك البهي الذي يملأ العين جلالة والقلب مهابة تكلم في

الناس بما آتاه الله من وحي السماء.

فلما انتهي من كلامه للناس ذهب إلى النساء في طرف المصلى، وهذا دليل على عدم الاختلاط.

وفيه درس أيضاً بأن المرأة المسلمة تحضر مجالس الخير واجتماعات البر وتستمع إلى الكلمة النافعة والدروس الإسلامية والمحاضرات القيمة.

فإن هذا من أعظم الأمور، لكن شريطة أن تغض بصرها وأن تتقي الله ربها، وأن تحفظ زوجها في غيابه.

وقد أمر صلي الله عليه وسلم في حديث أم عطية في البخاري الحيض والعواتق وذوات الخدور أن يخرجن يوم العيد ، فأما الحائض فتعتزل المصلى وتحضر دعاء المسلمين وتستمع إلى الموعظة والخطبة، ففيه دليل أن الحائض لا تدخل المسجد ولا المصلى الذي يصلى فيه الناس.

ولكن عند أبي داود أن صلاة المرأة في دارها خير من صلاتها في مسجدها.

تقول عائشة كما في البخاري: لو رأي الرسول صلي الله عليه وسلم ما فعلته النساء بعده لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل.

فكيف لو رأيت عائشة المنظر اليوم، وكيف لو رأت التبرج، وكيف لو رأت الاختلاط، وكيف لو رأت ضعف الإيمان وقلة العلم بالسنة والشريعة؟ نسأل الله العافية والسلامة.

فخرج صلي الله عليه وسلم وتكلم للناس، فلما انتهي قال لبلال بن رباح مؤذنة : ((هيا بنا إلى النساء)).

فذهب إليهن ووعظهن بهذه الموعظة السابقة.

وقال أول ما تكلم بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله قال: ((تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار)).

فقامت امرأة منهن وقالت: ما بالنا نحن أكثر أهل النار؟ ما هو الدليل على أننا أكثر أهل النار؟ وما هو السبب؟ وما هي العلة؟

وفي هذا درس بأن على الطالب أن يناقش ، وأن للمرأة المسلمة إن لم تفهم قضية أن تبعث للعالم فتسأله وتستفتيه.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((تكثرن اللعن ــ هذا في حديث أبي سعيد ــ وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن)).

فتصدقت النساء بحليهن وبما يملكن، وأخذ بلال يعرض ثوبه لأنها لأموال بيت المسلمين.

وفيه درس على أن المرأة المسلمة تشارك بكلمتها وبمالها وبحليها ، وأنها لا يبقي لها إلا ما قدمت عند الله، وأن الحلي والكنز هو الأدب وهو الزهد وهو العفاف.

وقوله صلي الله عليه وسلم : ((ناقصات عقل ودين)) المقصود بنقصان العقل أن شهادتها مع أختها تعادل شهادة رجل لأنها كثيرة النسيان، والاهتمام بأمور البيت والأمور الخاصة بها مما يجعلها تنسي وتضعف عن التذكر.

وأما نقصان الدين فلأنها تحيض فيسقط عنها الصوم والصلاة.

وليس المقصد ما قد يتوهمه بعض الناس من أن هذا قدح بالنساء.

كيف ذاك؟ والله يقول:)فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)(آل عمران: الآية١٩٥) .

كيف ذلك؟ وفيهن العالمات الفاضلات البرات.

منا الفواطم ربات العلا لنا كل الزيانب هم أهل وأخدان
والله لو أنصف التاريخ أمتنا لسجل المجد عذباً وهو سهران

ثم إن الرسول صلي الله عليه وسلم عاش مع المرأة أباً فله بنات، وعاش مع المرأة أخاً فله أخوات، وعاش مع المرأة زوجاً فله زوجات، ثم عاش قريباً فله عمات وخالات.

من قضايا الحديث:

أولاً : فضل الصدقة من النساء وكذا الرجال وأنها منجية من النار.

فيا أبناء لا إله إلا الله، ويا أحفاد محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، تصدقوا.

ما هي الصدقة؟

الصدقة لا حد لأدناها ولا لأعلاها.

أما أدناه فالبسمة صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة.

وأما أعلاها فاسمع إلى الله وهو يقول:)مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٦١) ، وصح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((والصدقة تطفئ الخطيئة)).

وصح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا تصدق المرء المسلم من كسب طيب

ولا يقبل الله إلا طيباً فإن الله يتقبله بيمينه ثم يربيه لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون كجبل أحد)).

وصح عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((كل منكم في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضي بين الناس))، إلى غير ذلك من الأحاديث. ومنها ما في الصحيحين قوله صلي الله عليه وسلم : ((ما اصبح الصباح إلا وملكان يناديان يقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً)).

وأما الصدقة فهي أنواع: وأعظمها وأجلها الصدقة بالعلم كما قال ابن القيم ، ثم الصدقة بالنفس بأن تسفك دمك في سبيل الله، وأن تبيع روحك من الله.

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أغلى غاية الجود

ومن الجود الصدقة بالوقت، فتجد بعض المحسنين الصالحين صرف وقته للمسلمين ليلة ونهاره، فلا راحة ولا نوم بل كله للمسلمين.

متيم بالندي لو قال صاحبه هب لي فديت كرى عينيك لم ينم

يقول: لو طلب النوم من عينه ما نام من كرمه أبداً.

وهذه صفة أهل الشيم والمروءة الجود بالأوقات.

ومنها الجود بالأموال بأن لا تري فاقة ولا حاجة إلا وتنفق فيها.

وإنما حض صلي الله عليه وسلم المرأة على كثرة الصدقة لأن من النساء من يكن بذيئات يكثرن اللعن ويكثرن السب ويكثرن الشتم، وهي خطايا ولا يطفئ الخطايا إلا الصدقات، فنبه صلي الله عليه وسلم المرأة على أن تتصدق من جلبابها ومن ثيابها ومن ذهبها ومن مالها، ومن معروفها، وسوف تلقي ذلك عند الله تبارك وتعالي.

ولما أمر صلي الله عليه وسلم بالصدقة في المصلى ــ والحديث في الصحيحين ــ كان من ضمن الجلوس: زينب امرأة عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه وارضاه، فقامت فدخلت بيتها بعد أن سمعت الموعظة فأخذت حليها وذهبها وفضتها وخرجت من البيت النبي صلي الله عليه وسلم فلقيها ابن مسعود وقال لها: إلى أين؟
قالت: أتصدق به.

قال: أنا وولدك أحق من تصدق به علينا.

فقالت : لا .. حتى أسال الرسول صلي الله عليه وسلم .

فذهبت إلى الرسول صلي الله عليه وسلم في البيت وعند الباب بلال يحرس.

فقالت لبلال: أريد الرسول صلي الله عليه وسلم .

قال: من أنت؟

قالت: أنا زينب امرأة ابن مسعود.

ففيه دليل على أنه لا بأس بمعرفة أسماء النساء في الإسلام إذا كانت المرأة عاقلة ومتحمشة ورشيدة .

فذهب بلال إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال: ((زينب تستأذن عليك ــ وفي المدينة ما يقارب سبع زيانب ــ.

فتبسم صلي الله عليه وسلم وقال: ((أي الزيانب)).

قال: زينب امرأة مسعود.

فدخلت وسألته صلي الله عليه وسلم ، فقال : ((صدق ابن مسعود، زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم)).

فذهبت وأعطت حليها لزوجها الفقير.

ففيه دليل على أن المرأة تدفع زكاة مالها لزوجها الفقير ، وهو ما أفتي به أهل العلم.

ثانياً: قوله: ((تكفرن العشير)) الكفران مصدر كفر، وكفر أي: غطي.

يقال : كفرت النبات في الأرض أي غطيته.

وكفر المعروف إذا غطاه.

وإنما سمي الكافر كافراً لأنه جحد معروف الله ، وجحد آيات الله وغطاها.

قال سبحانه وتعالي:) يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)(الفتح: الآية٢٩) ، قال بعض المفسرين: الكفار الزراع لأنهم يكفرون النبتة في الأرض ويغطونها بالتراب.

وقال غيرهم: بل الكفار هنا هم الكفار المعروفون الذين كفروا بالله وبرسوله وباليوم الآخر.

قوله : ((العشير)) هو الزوج، وإنما سمي عشيراً من المعاشرة وهي المصاحبة، قال سبحانه وتعالي:) وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)(النساء: الآية١٩) ، فمن أسباب دخول النار كفران معروف الزوج من الزوجة.

والنساء من طبيعتهن الكفران ــ إلا من رحم الله منهن ــ ، فلو أحسنت وصنعت وفعلت لما أرضاها ذلك إلا إذا كانت صالحة تقية عابدة.

ومن حكمة الله أن جعل الرسول صلي الله عليه وسلم يعايش هموم المرأة وغيرتها ومشاكلها وحوادثها في بيته حيث اجتمع عنده تسع نسوة فعرف دواخلهن وأفكارهن فعلم ما يعيشه الناس.

أتاه رجل فشكا له زوجته فقال: ((هن شر غالب لمن غلب))، أي: هن الغالبان ولو حاولت وحاولت.

وزار أبو أيوب رضي الله عنه عبد الله بن عمر في بيته وهو من عباد الصحابة، ومع ذلك وجد الستور على الجدران في بيته ، فأنكر عليه ذلك الترفه، فقال ابن عمر: غلبنا عليه النساء يا أبا ايوب**!!**

وجاء رجل ليشكو زوجته إلى عمر بن الخطاب، فلما اقترب من الباب سمع صوت امرأة عمر يرتفع على صوت عمر**!!**

فقال في نفسه: (أتيتك يا عبد المعين لتعين، فأنت يا عبد المعين تريد معين)**!**

فطرق الباب عليه وأخبره بما في نفسه.

وكان عمر حكيماً فقال: إنما العيش بالمعروف ، إنها امرأتي تصنع خبزي وتغسل ثوبي وتخدمني، فإن لم أتلطف معها لما عشنا سوياً أو كما قال رضي الله عنه.

فالواجب نصح المرأة بلطف وتحمل ما يصدر منها.

وفي الصحيح أن الرسول صلي الله عليه وسلم أتي إلى بيت فاطمة ابنته رضي الله عنها ليسألها عن على رضي الله عنه فقالت: غاضبته فحرج، أي أنها تخاصمت هي وإياه**!**

وهو على وهي فاطمة ، فكيف بمن هو دونهما؟

وواجب على المرأة أن تتقي الله في زوجها، فقد صح من حديث أبي أمامة عنه صلي الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها))، أو كما قال صلي الله عليه وسلم .

ولا تجحد المعروف، فإن ألأم الناس من جحد المعروف، ولذلك يسمونه عند العرب (لئيم).

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فأبغض الناس إلى قلوب الناس هو الذي يجحد المعروف وينسي إحسانهم ويتغافل عما قدموه من مكرمات، فكيف بالزوج الذي قدم لزوجته من المكرمات؟

ثالثاً: أنه صلي الله عليه وسلم كان يخاطب النساء ويتكلم إليهن في مجالس خاصة

وعامة.

أتت إليه أسماء بنت يزيد فقالت: يا رسول الله غلبنا عليك الرجال، يحجون معك ويعتمرون معك ويجاهدون معك، فاجعل لنا يوماً من نفسك.

فالتفت صلي الله عليه وسلم وقال للصحابة: ((هل سمعتم بأجمل منها خطاباً؟))

فواعدهن صلي الله عليه وسلم يوم الاثنين.

فقال البخاري (باب) من جعل للنساء يوماً من نفسه وساق الحديث.

وكان صلي الله عليه وسلم يأخذ البيعة منهن مباشرة كما فعل مع هند بنت عتبة في الصحيح عندما أتت تبايعه بنفسها، فكان صلي الله عليه وسلم يشترط عليهن عدة شروط في البيعة، منها: أن لا يعصينه في معروف، وأن يقمن بالحقوق الزوجية، ونحو ذلك.

وكان صلي الله عليه وسلم يستمع لأسئلتهن ويجيب عليها، ولم يكن يستحين رضي الله عنهن من التفقه في الدين ، فقد ورد في الأحاديث عدة أسئلة من النساء للرسول صلي الله عليه وسلم .

كفاطمة بنت أبي حبيش، وحمنة بنت جحش، وهند بنت عتبة، وأـم أنس رضي الله عنهن وغيرهن، كن يسألن عن أمورهن الخاصة، وكان هو صلي الله عليه وسلم يستمع لهن ويجيب دون ضجر أو تضايق.

فواجب العالم أن يعطي النساء جزءاً من وقته يلقي عليهن المواعظ ويجيب على ما يهمهن من شؤون حياتهن الخاصة، كمسائل الحيض والنفاس ونحوها، فإن الإسلام للرجل والمرأة وليس مقصوراً على صنف دون الآخر.

والأمر الثالث الذي يجب على الزوجة ــ وقد ذكرت غيره سابقاً ــ هو أن تحسن العشرة في الخلق والطاعة في المعروف، وأن تحفظ نفسها وماله، فلا تجلس أحداً على فراشه لا يرضاه ولا يرضي دخوله أبداً، ولا تتبرج ولا تتكشف ولا تخونه بالغيب ، فإذا فعلت ذلك فقد اساء ت له كل الإساءة ، وقد قطعت ما بينه وبينها من الرحم ومن الصلة ومن الحقوق ومن الزوجية، ونعوذ بالله من امرأة تفعل ذلك، فالله يقول: (حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ)(النساء: الآية٣٤) ، والمرأة التي تحفظ الله بالغيب هي التي تحفظ زوجها في نفسها وفي ماله.

أما حقها هي .. فمن حقوقها الرحمة بها واللطف والكسوة والنفقة ، وإعانتها على طاعة الله عز وجل، وإعطاء حقوقها في الوقت وفي غيره، والصبر عليها لأنها خلقت من ضلع أعوج.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

حقوق أم زرع

قال البخاري: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن وعلى بن حجر قالا: أخبرنا عيسي بن يونس، حدثنا هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة قال: جلس أحادي عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً.

قالت الأولي: زوجي لحم جمل غث علي راس جب، لا سهل فيرتقي ، ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية : زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن سكت أعلق .

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجي إذا دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غياياء ـــ أو عياياء ـــ طباقاء ، كل داء له داء، شجك أو فلك أو جمع كلالك.

قالت الثامنة: زوجي المس مس ارنب، والريح ريح زرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك، مالك خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعت صوت المزهر، أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشر: زوجي أبو زرع فما أبو زرع، أناس من حلى أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إلى نفسي ، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط، ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح ، واشرب فأتقنج.د

أم أبي زرع، فما أم أبي زرع،عكومها رداح، وبيتها فساح.

أم أبي زرع، فما أم أبي زرع، مضجعة كمسل شطبة، ويشعبه ذراع الجفرة.

بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع، طول أبيها ، وطوع أمها، وملء كسائها ، وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثيثاً ، ولا تنقث ميراثنا تنقيثاً، ولا تملأ بيتنا تعشيشاً.

قالت : خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شرياً، وأخذ خطياً، وأراح على نعماً ثرياً ، وأعطاني من كل رائحة زوجاً، وقال كلى أم زرع، وميري أهلك، قالت: فلو جمعت كل شئ أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة: قال رسول صلي الله عليه وسلم : ((كنت لك كأبي زرع لأم زرع)).

هذا الحديث أغرب حديث في كتب السنة..وقد شرحه ما يقابل عشرة من العلماء، وأعظم من شرحه القاضي عياض قاضي في المغرب وعالم المغرب، وابن حجر شرحه فيما يقارب ثلاثين صفحة، وهو حديث عجيب فيه أكثر من سبع عشرة فائدة سوف تمر بنا بإذنه سبحانه وتعالي، ولكن نأتي على الشرح.

يقول البخاري (باب حسن المعاشرة مع الأهل) يقول: : كيف يكون المسلم مع أهله في حسن المعاشرة؟ وفي وطء الكنف؟ وفي لين الجانب؟ وفي السهولة؟ ثم يأتي بحديث المصطفي صلي الله عليه وسلم مع عائشة، ويظهر لنا أن الرسول عليه الصلاة والسلام مع كثرة أشغاله وأعماله وارتباطاته، وما يأتيه من نوائب الدهر وأمور الأمة تدار علي ككفه صلي الله عليه وسلم ، وأحداث الأمة وجهاد الأمة وإدارة الأمة وقيادة الأمة.. ومع ذلك وجد وقتاً إلى أن يستمع لمثل هذا الكلام.

وهذا من لين جانبه ومن حلمه ومن بره عليه أفضل الصلاة والسلام كما قال تبارك

وتعالي:)وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤) ،(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ف)(آل عمران: الآية١٥٩).

وعائشة الرواية لهذا الحديث هي بنتها أبيها، فقد كان أبو بكر أحفظ الناس وأفصح الناس، يحفظ السير والأنساب والأخبار والأشعار، وإذا تكلم أبو بكر في مجالس من مجالس العرب سكتوا جميعاً، فأتت ابنته عائشة تشبهه، ومن يشابه أباه ما ظلم!

إن العصـــــا من هذه العصيـــة
لا تلد الـــــــحـــــــية إلا حــــــــية

فكان صلي الله عليه وسلم يأنس بحديث عائشة، ويسألها عن أخبار الناس لأنها كما قال الزهري، كانت تحفظ ثمانية عشر ألف بيت شعر، وكانت تحفظ أخبار العرب، وما وقع في أيام العرب وقصص العرب.

وفي غدوة من الغدوات جلس عليه الصلاة والسلام مستريحاً هادئ البال مطمئن النفس، فأخذ يداعب ويمازح زوجته الطاهرة الصديقة بنت الصديق، فأخذت تقول: يا رسول الله جلس نسوة سلف بهم الدهر، وهؤلاء النساء قال أبو محمد ابن حزم الظاهري: هن من خثعم قبيلة من قبيلة شمران، وهي من قبائل الجنوب الشهيرة في التاريخ.

ومن هذه القبيلة الخثعمي الذي يقول:

ألا يا صبا نجد متي هجت من نجد

لقد زادني مسراك وجداً علي وجد

قالت تخاطب الرسول صلي الله عليه وسلم : جلست إحدى عشرة امرأة فتعاقدن وتعاهدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً..فأزواجهن خرجوا من البيوت .. واجتمعن.

قال أهل العلم كما قال ابن حجر : إذا اجتمع النساء فأكثر حديثهن في الرجال ، وإذا اجتمع الرجال فأكثر حديثهم في المعاش!!

قالت: فتعاهدن عهداً بالله ألا تكذب الواحدة أخواتها في هذا الأمر، وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً ، فتقدمت **الأولي** بحفظ الله تتكلم، فقالت تصف زوجها (زوجي لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل فيرتقي ولا سمين فينتقل)، وصفته بأقبح الأوصاف، فلحم الجمل يقولون هو من أردأ اللحوم، ويقولون إنه يدمي القلوب فمن داوم عليه مرض، وهو من أقسى لحوم الحيوانات على الإطلاق ، وحذر منه كثير من الأطباء.

وليتها قالت: لحم جمل وسكتت، لهان الأمر ، لكنه نحيف هزيل ضعيف.

وتقول : على رأس جبل، فمن وعورة خلقه أنه اصبح كالجبل الذي لا يرتقي.

قالت: لا سهل فيرتقي ، أي بيت الجبل سهل فيرتقي فنأخذ هذا اللحم الغث.

يقول ابن تيمية يستشهد بهذا الكلام وقد سئل عن الفلسفة وعلم المنطق فقال: علم المنطق والفلسفة لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل فيرتقي ولا سمين فينتقل، وهذا من أحسن ما يستشهد به في مثل هذه المواضع.

قالت الثانية: (زوجي لا أبث خبره) يعني: لا أريد أن أخبركم بأشياء ، لكن اسمعوا مني موجزاً ، فهو باشر مما أتكلم به عنه! فالرجل فوق ما استطيع أن أتكلم، ولا استطيع أن أصف السوء الذي فيه!

(إن اذكره عجره وبجره) العجر: عروق في البطن. والبجر : عروق في الظهر. ومعني الكلام أن فيه عجر وبجر فهو مفطوم على الهموم والأحزان.

قال على رضي الله عنه: اللهم إني اشكو إليك عجري وبجري..قالوا: يعني يا رب أشكو إليك همومي وأحزاني وما جري لي، وما عندي من المصائب والكوارث، لأنه فقد الرسول صلي الله عليه وسلم ثم زوجة فاطمة ثم أبا بكر وعمر وعثمان، ثم اختلفت الأمة بين يديه، ثم تكالبت عليه الخوارج.

فتقول المرأة: أنا لا أتكلم في هذا الرجل، يكفي أني أعطيتكم موجزاً، والأحسن أن لا أتكلم لأن الكلام لا يوفي!

قالت الثالثة: (زوجي العشنق) ، العشنق قيل الطويل المفرط الطول.

والطويل المفرط الطول عند بعض العرب يقولون إنه يكون فيه خبل وهبل!

وقيل: هو سئ الخلق شرس الأخلاق، إذا سلمت عليه أقام الدنيا وأقعدها، يعني يغضب مما لا يغضب منه.

قال أهل العلم وأهل الأدب: من غضب بما ليس يغضب فهو أحمق.

قالت: (زوجي العشنق، إن أنطق أطلق)، أي إذا تكلمت فالطلاق جاهز على طرف اللسان! (وإن أسكت أعلق) وإن سكت عن الكلام معه فأنا معلقة،) فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ)(النساء: الآية١٢٩) كما قال سبحانه وتعالي. والمعلقة هي التي ليست مطلقة ولكنها مع زوجها في البيت وهو لا حاجة له بها.

قالت الرابعة: (زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة)، تقول : أما زوجها فمثل ليل تهامة، وليل تهامة يقال: لوهج النهار وحرارة النهار يهدأ الليل فيكون من أحسن الليالي ، وهو أحسن من ليالي الحجاز ، فيهب فيه النسيم من هواء البحر العليل، وتبدد فيه الأكناف ،وتتوطأ فيه الأردان، فهو لهدوئه وصلاحه وخيره وقربه وتواضعه مثل ليل تهامة، لا حر ولا قر.. ليس بشديد الحر يعني ليس بجاف، وليس بقر كذلك أي ليس ببارد، لأن بعض الناس تبلغ البرودة به إلى أن يتبلد حسه فلا يغضب أبداً، يقول الشافعي: من استغضب ولم يغضب فهو حمار!!

قالت الخامسة: (زوجي إذا دخل فهد، وإذا خرج أسد، ولا يسأل عما عهد) ، فهد مشتق من الفهد وهو حيوان اصغر من الأسد، وقد احتار كثير من أهل العلم في وصف الخامسة لزوجها، هل هي تسبه أو تمدحه؟ فإن سبته قالت: هو كثير النوم كالفهد.. لا يستفاد منه.

يقول الجاحظ : أكثر الحيوانات نوماً الفهد، فإنه ينام أكثر مما يستيقظ ، وإذا تعب قليلاً ألقي رأسه حتى ربما تأتي عليه الفئران وهو لا يشعر.

وإن كانت تمدحه فتقول: إنه كالفهد ، لن الفهد يمتاز على الحيوانات بالحياء، وبالخجل من المواقف، والعجيب انهم ذكروا أن الفهد إذا رأي المرأة صدف عنها! فهو كريم الجانب.

وإذا خرج أسد: أي كالأسد في شجاعته لأنه أشجع الحيوانات .

قالت السادسة: (زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث) ، تصف زوجها بالنهمة في الأكل ، والعرب تعيب ذلك، أي أنه إذا جلس على الغداء والعشاء والفطور ما أبقي لها شيئاً..فتقول إذا أكل لف، أي لا يعرف يأكل بالأصابع!!

وإن شرب اشتف، أي يبتلعه مجرجراً نحره كأنه ثور. ونحن نؤمر في السنة أن نمص الماء مصاً لا أن نبتعله بلعاً حتى يجرجر، لأن هذا يؤذي المري.

وإن اضطجع التف: تقول من وحشته أنه إذا اضطجع أخذ الفراش وحده ولا يقترب من زوجته فهو شرس الخلق لا يقترب منه.

ولا يولج الكف ليعلم البث، تقول : أمراض كثيراً وتصيبني الحمي، وزوجي ليس عنده لطف فيسأل عن صحتي.

ومن لطف الرجل مع أهله مع أخته مع زوجته مع بنته أن يقترب كما كان يفعل صلي الله عليه وسلم ويضع يده على كتفها أو على رأسها أو على كفها ليري حرارتها، فهذا من الهدوء وهذا من الأنس، بل الرسول صلي الله عليه وسلم كان ربما إذا رأي بعض الصحابة شبك أصابعه بأصابعه أنساً له، وربما داعبهم فضرب في صدورهم.

قالت السابعة: (زوجي غياياء ــ أو عياياء ــ طباقاء كل داء له داء. شجك أو فلك أو جمع كلالك) تصف زوجها فتقول : غياياً وفي لفظ عياياً.

فإن كان غياياً فمعناه منتهي الغي فيه، نعوذ بالله من ذلك، يعني أن فيه فجوراً شديداً.

وطباقاً: هو الذي طبق على ذهنه الجهل من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه.

وهو أيضاً يضربها بالشج والفك..لا يعرف المهادنة .. دائماً إذا ضرب يجرح شيئاً، إما إن أن يكسر السن أو يجرح اليد أو يكسر الإصبع! نسأل الله العافية لسوء خلقه يفعل ذلك.

قالت الثامنة: (زوجي المس مس أرنب) تقول هو لطيف الخلق مثل شعر الأرنب، (والريح ريح زرنب) الزرنب: شجر طيب الرائحة ينبت في نجد، واستشهدوا على ذلك بقول الأول:

بأبي أنت وفوك الأشنب كأنـــــــمــــــا ذر عليه الزرنب

أي أنه من لينه ومن طيبته اشبه الزرنب.

قالت التاسعة: (زوجي رفيع العماد) أي : أنه من كرمه وسؤدده يرفع بيته وبينه على شرفات الطرق.

ولذلك ذكروا عن إبراهيم عليه السلام أن بيته بالصحراء وكان له قصر له بابان..يقول: من يتغى يدخل من هنا ويخرج من هنا، فلكرمه كان دائماً يقول لخدمه ولعبيده ولرقيقه : من يأتي منكم اليوم بضيف فهو حر لوجه الله.

(طويل النجاد) :النجاد ممسك السيف، وقيل خباء السيف، وقيل غمده ، لأنه من شجاعته طويل النجاد وطويل الجسم كذلك.

(عظيم الرماد) أي: كريم فهو لكثرة كرمه كثر رماد ناره التي يطبخ عليها.

(قريب البيت من الناد): أي أنك إذا سألت عنه وجدته.

قالت العاشرة: (زوجي مالك وما مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك).

تمدح زوجها بالكرم وتقول: له إبل كثيرة وما يأتيه إلا الضيف فيحرك السكين فتعرف الإبل أنهن هوالك، فتمد الناقة عنقها وتتهيأ على الأرض.

هو البحر من أي النواحي أتيته
فدرته المعروف والجود ساحله

ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائلـــــــــه

والمزهر آلة، وقيل : عود يجمع به الإبل.

قالت الحادية عشرة: (زوجي أبو زرع ــ اسمه أبو زرع ــ فما أبو زرع) ما أدراك ما أبو زرع (أناس من حلى أذني) أي حلاها في أذنيها، أو أنه أنس من الأنس واللطافة والرقة والشفافية فهو كحلي الأذن(وملأ من شحم عضدي) أي أنه أعطاها من النعم حتى امتلأت (وبجحني فبجحت إلي نفسي)، قالوا: شرفني فتشرفت ، وجعلني أفخر فافتخرت، (وجدني في أهل غنيمة بشق)، تقول: أهلي كانوا أهل غنم(فجعلني في أهل صهيل) أي الخيل (وأطيط) قيل الإبل وقيل غيرها ، (ودائس ومنق) قال أهل العلم: يقولون إن منق من النقنقة ،

وهي نقنقة الدجاج، فتقول : واصبح عنده دجاج. ورد بأن العرب لا تتمدح بالدجاج. ولعلها تمدحه بكثرة الحيوانات دون النظر إلى الدجاج لوحده.

(فعنده أقول فلا أقبح) أي أتكلم بطلاقة، والزوج الذي يكون وسيع الصدر وسيع البال..تتكلم المرأة عنده دائماً، أما الش–فإنها لا تتكلم عنده إلا بكلمات.

(وأرقد فأتصبح) الصبحة عند العرب في النوم هي النوم بعد صلاة الفجر.

والعرب عندهم للنوم أسماء: هيلولة، وفيلولة، وغيلولة، وقيلولة.

الهيلولة: هي النوم بعد صلاة الفجر، وهي مستقبحة عند العرب.

والفيلولة: النوم ضحي.

والقيلولة: النوم بعد صلاة الظهر أو قبل صلاة الظهر، وعند السلف قبل صلاة الظهر.

والغيلولة: النوم بعد العصر.

ألا إن نومات الضحى تورث الفتي
خبالاً ونومات العصير جنون

ولم يصح في النهي عن النوم بعد العصر حديث، وكل حديث في ذلك فهو باطل أو موضوع، قاله ابن القيم وغيره من أهل العلم.

فتقول هذه المرأة : أنا من سعادتي عند زوجي أنام حتى في الصباح.

(واشرب فأتقنح) ، أي اشرب حتى أرتوي، ثم أزيد من لذة الشراب لبنلً وماء ونبيذاً.

(أم أبي زرع فما أم أبي زرع عكومها رداح) تقول: أم أبي زرع أصبحت من النعيم ممتلئة الجسم، ورداح العكون: مجامع البطن، ورداح: أي متينة سمينة.

(وبيتها فساح) فأم أبي زرع عندها بيت وسيع.

(ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع، مضجعه كمسل شطبة)، يعني لا يأخذه إلا مكان صغير عند النوم سلة السيف ينام كمسل شطبة.

(ويشبعه ذراع جفرة)، الجفرة ولد الماعز، وقيل ولد الضأن ، أي ان ذراع الجفرة يكفيه من قلة أكلة لاشتغاله بالمهمات.

(بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع ، طوع أبيها)أي تطيع أباها (وطوع أمها وملء كسائها) يعني إنها في نعمة (وغيظ لجاراتها) من جمالها.

(جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثيثاً) أي لا تنشر الخبر فهي ساكتة صامتة حافظة للسر، (ولا تضيع مالنا ضياعاً)، فهذه الجارية تحفظ فلا تضيع المال، (ولا تملأ بيتنا تعشيشاً) أي لا تعشعش في البيت ، يعني لا تجمع الزبالات في البيت.

قالت: (خرج أبو زرع والأوطاب تمخض) الأوطاب الأسقية التي يوضع فيها اللبن، يعني أنهم يهدونها وأنهم أهل لبن.

(فلقي امرأة معها ولدان) فأعجبته تلك المرأة ، فصدرها كالرمانتين يعني أنها جميلة وأنها لا زالت شابة وعندها ولدان يلعبان معها.

(فطلقني ونكحها) هذا آخر المطاف!!طلق أم زرع.

(فنكحت بعده رجلاً سرياً) يعني من أشراف الناس.

(ركب شرياً وأخذ خطياً) أي ركب فرساً يعدو وأخذ رمحاً، (وأراح على نعما ثرياً) يعني من كل شيء من الإبل والبقر والغنم، (وقال: كلي أم زرع وميري أهلك) حتى أهلك في البيت أرسلي لهم من هذا المال، قالت: (فلو جمعت كل شئ أعطانيه ما بلغ أضغر آنية أبي زرع) تقول: لو جمعت كل شئ أعطانيه في أصغر آنية من الأواني التي كان يعطينا فيها أبو زرع الأول ما بلغت أي شئ.

يعني أن قلبها معلق به.

قالت عائشة رضي الله عنها: قال الرسول صلي الله عليه وسلم : ((كنت لك كأبي زرع لأم زرع)).

في الحديث فوائد:

أولها: حسن عشرة المرء لأهله والمحادثة بالأمور المباحة ما لم يفض ذلك إلى ما يمنع، وهذا واجب الرجل.

ثانياً: فيه جواز أن يحب الرجل أهله بشرط ألا يؤدي ذلك إلى أن تتكبر عليه، لأن بعض النساء من نقصان عقلها إذا أخبرتها أنك تحبها تجنت عليك وقاطعتك وأخذت تغضبك لتري كيف تتحسر عليها!!

ثالثاً: وفيه منع الفخر بالمال وبيان جواز ذكر الفضل بأمور الدين، فإن هؤلاء النساء افتخرن بأمور الدنيا، لكن الرسول صلي الله عليه وسلم بين أن الفخر بالتقوى وبالدين، وإن أحسن الأوصاف ما وصف به حسن الخلق بعد الدين.

رابعاً: وفيه ذكر المرأة إحسان زوجها ، فإن المرأة العاقلة الرشيدة المؤمنة التي تخاف الله من أدبها أن تحسن ذكر زوجها عند الناس، فإذا سألوها عن زوجها أن تقول فيه خيراً، ليكون أرفع لها عند الله تبارك وتعالي، وأرفع لذكرها وأعظم لأجرها.

خامساً: وفيه إكرام الرجل بعض نسائه بحضور ضرائرها بما يخصها به من قول أو فعل ، فإن الرسول صلي الله عليه وسلم قد أكرم عائشة كثيراً أكثر من بعض جاراتها وضرائرها عليه الصلاة والسلام، وربما أتحفها بشئ وهذا لا يقدح في عدله عليه الصلاة والسلام، فهو أعدل الناس وأقرب الناس وأنصف الناس.

سادساً: وفيه جواز تحدث الرجل مع زوجته في غير نوبتها.

سابعاً: وفيه الحديث عن الأمم الخالية وضرب الأمثال بها اعتباراً، فلا بأس أن تتحدث أنت والناس بأخبار أجدادنا والقبائل التي سلفت لأن فيها عبراً وتجارباً.

ثامناً: وفيه جواز الانبساط وتنشيط النفس بذكر طرف الأخبار المستطابة والنوادر، خلاف ما ذهب إليه غلاة العباد وغلاة الصوفية ، فإنهم لا يرون هذا ويقولون هو ضياع للوقت.فالرسول صلي الله عليه وسلم تحدث في هذه القضايا واستمع إليها، فلا بأس أن تتحدث مع الناس في الأسعار والأمطار والأخبار.

تاسعاً: وفيه حث النساء على الوفاء لبعولتهن وقصر الطرف عليهم والشكر لجميلهم، وهذا أدب أدبنا الله به. فعلى النساء أن ينقين الله عز وجل في أزواجهن فيذكرن جميلهم وما لهم من أياد ولا يعددن السيئات.

أما إذا اضطرت إلى ذلك فلا بأس أن تصفه بحسن أو سوء إذا كان لمصلحة من الهبر أو بالسؤال عنه.

عاشراً: وفيه أن ذكر المرء بما فيه من العيب جائز إذا قصد التنفير عن ذلك الفعل بشرط ألا يسمي ولا يكون غيبة، وهؤلاء النساء كن في الجاهلية قبل تحريم الغيبة.

أما في الإسلام فلا يجوز للمرأة أن تغتاب زوجها كما قال الحافظ ابن حجر إلا لمصلحة ، مثل أن تشتكي عند القاضي أو الحاكم فيقول لها الحاكم : ماذا تنقمين على زوجك؟ فتقول: بخيل أو سئ الخلق أو مقاطع أولا يأتينا.

ولذلك جاءت هند امرأة أبي سفيان إلى الرسول صلي الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله أبو سفيان شحيح.

قال: ((خذي أنت وبنيك من ماله بالمعروف)) فهذه شكته أو بينت عيبه للحاجة.

الحادي عشر: تشجيع النساء أن لا تحرص الواحدة منهن على أن لا يكون قبلها زوجة، لكن تحرص عل رجل الخير والدين والاستقامة وحسن الخلق، لأنها قد تسعد معه ولو كان معه ثلاث نساء أسعد مما لو كانت مع زوج ليس له إلا هي، فالمسألة مسألة دين وتعامل وخلق.

الثاني عشر: وفيه أن الحب يأسر النساء، لأن أبا زرع مع إساءته لها بتطليقها لم يمنعها ذلك من المبالغة في وصفه إلى أن بلغت حد الإفراط والغلو.

يقول أبو تمام:

كم منزل في الأرض يعشقه الفتي
وحـــــنيــــنه أبداً لأول منـــــــزل

الثالث عشر: فيه جواز وصف النساء إذا لم يؤد ذلك إلى ذكر المحاسن والصفات الداخلية..لأنه منهي عنه.

الرابع عشر: فيه جواز السجع إذا كان من غير تكلف. والسجع هو أن تختم الكلمة أو الكلمات بحرف واحد، وهو جميل في الكلام، لكنه إذا خرج إلى حد الكلفة فمذموم.

تشاكت امرأتان عند الرسول صلي الله عليه وسلم كانت إحداهما قد ضربت الأخرى فقتلت الجنين الذي كان في بطنها فحكم لها النبي صلي الله عليه وسلم بالدية فقام ولي المرأة التي غرمت فقال: كيف ندي من لا نطق ولا استهل، ولا شرب ولا أكل، فمثل ذلك يطل.

فقال صلي الله عليه وسلم : ((أسجع كسجع الكهان))؟!..لأنه تكلف ، وإلا ففي القرآن سجع لكنه غير متكلف وجميل وحبيب إلى النفوس.

الخامس عشر: وفيه أن الطلاق لا يقع بالمشابهة ، لأن الرسول صلي الله عليه وسلم يقول: ((أنا كأبي زرع)) وأبو زرع طلق امرأته.

السادس عشر: وفيه أن المشبه لا يقتضي أن يكون كالمشبه به، لكن يخالفه في بعض الشيء .. تقول : محمد كالأسد في الشجاعة لكم ليس كالأسد في براثنه وفي مخالبه وفي جلده وفي عينه..لا لكن في الشجاعة وهذا معلوم.

السابع عشر: وفيه مدح الرجل في وجهه إذا علم أن ذلك لا يفسده.

والمقصود أن قضايا الحديث كثيرة، والقاضي عياض قد شرحه في كتاب كبير، ويقول الحافظ: استقصيت من شرحوه فإذا هم ما يقارب عشرة من أهل العلم.

وإنما شرحته لما فيه من الحكم والفوائد إن شاء الله، ولما فيه من اللطافة والأنس، ولأنه قد يعرض لبعض ، وفيه الكلمات الغربية التي تحتاج إلى مراعاة وإلى مراجعة.

والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.